الدعائم

كما يراها المجلس الجماعي

صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله ونصره

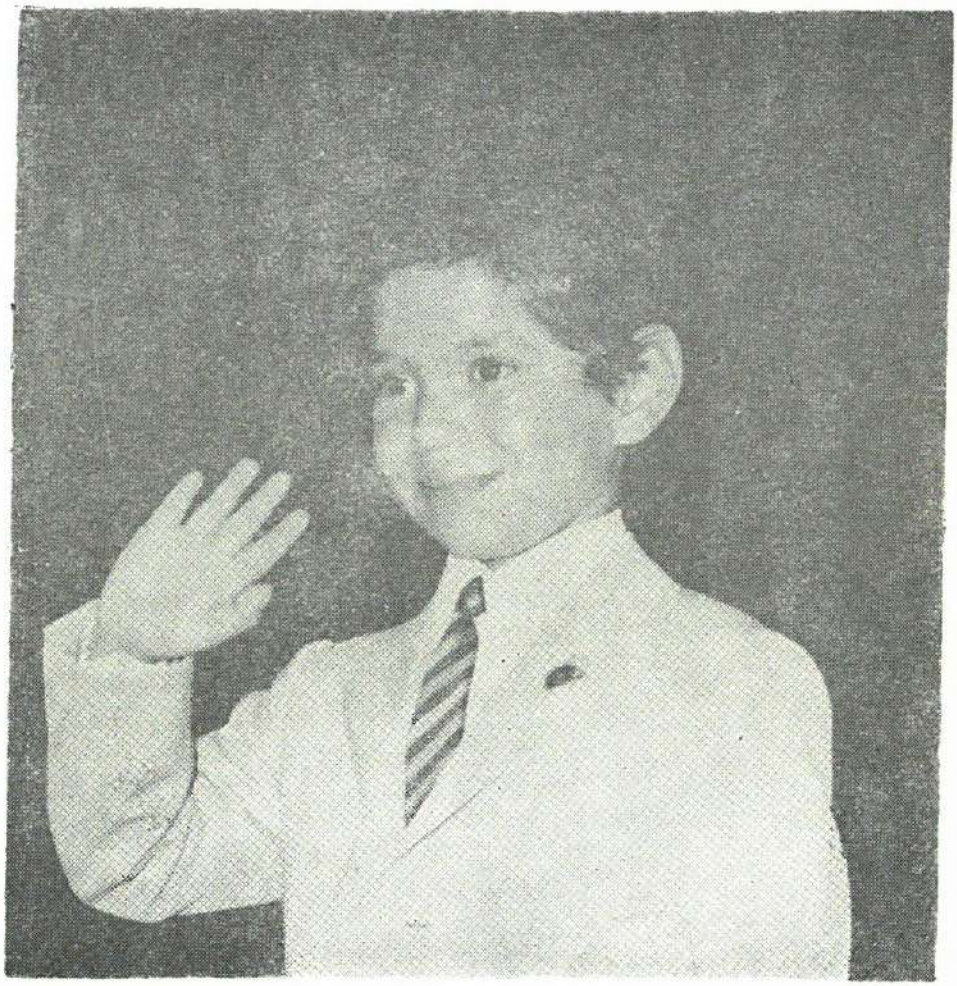

صاحب السمو الملكى ولى العهد الامير سيدى محمد

العرائش

كما يراها المجلس الجماعي

الطبعة الثانية
بزيادات وتنقيحات
1394 هـ - 1974 م

مطبعة كريماديس العرائش

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

من الواضح أن العرائش هي المدينة الناشئة في ظروف كانت المرابطة في الثغور من أفضل القربات الى الله في المغرب وغيره من بلاد الاسلام، قال تعالى: «يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»، وكان هذا الرباط في وقت تحركت فيه قوى الشر من اعداء الدين في اروبا وغيرها من بلاد الكفر، فتكالبت تلك القوة الكافرة على بلاد الاسلام والمسلمين، وبدأت الغارات المتوالية على الشواطيء، فنشطت بسبب ذلك حركة المرابطة.

وكانت العرائش محط انظار ملوك المغرب، وموضع اماني المسلمين لاجل ما أظهره العدو من الطمع في احتلالها، وأنها كانت تساوي عنده جميع شواطيء المغرب، بل المغرب كله، ومن أجل ذلك، نجد هذا الثغر قد لعب دورا مهما عبر تاريخ المغرب، اذ ظهرت على ساحته بطولة المغاربة ضد الغزاة المحتلين الطامعين، فلقى ثغر العرائش من احداث الدهر ما جعله انشودة في فم الزمن، اذ كان هدفا لاعداء الدين فقد اغتابته النكبات، وخرب مرات متعددة، هدم للمرة الاولى على يد البرتغال في عهد الوطاسيين، وقوض للمرة الثانية بعد تسليمه للاسبان بمعارك الفتح التي خاضتها جيوش المولى اسماعيل، واتلف للمرة الثالثة بغارة النبريال: (النمسا) ووقع فيما وقع فيه المغرب اجمع بالإحتلال العام ولكنه رغم ما مر عليه من تخريب واتلاف بقى صامدا كالطود الاشم لم تلن قناته، ولم يندثر عمرانه، فهو في ماضيه التليد، وحاضره المشرق مرآة ناصعة تعكس على صفحاتها قدسية الجهاد الطويل، وتتمثل في تاريخه بطولة افذاذ المغرب الذين استشهدوا في سبيله، وجاهدوا فى الله

حق جهاده، حتى انعتق بعد الرق وحيى بعد الموت، بفضل بطل الدولة العلوية ابي النصر المولى اسماعيل، ثم اعتنى به من أتى بعده من انجاله الكرام، من المولى محمد بن عبد الله، الى محرر المغرب، المولى محمد الخامس، أبقى الله دولتهم، وخلد في الصالحات ذكرهم، الى وارث السر المولى الحسن الثاني، أعز الله امره.

وقد حاولنا في هذا الكتاب الموجز، جمع بعض المعلومات المتناثرة عن هذا الثغر المجيد، وقد توفر لدينا جمعها من مظان تاريخه قديمة وحديثة، مطبوعة ومخطوطة، لابراز ما اهمل او خفي من تراثها، تلقي اضواءً كشافة على بعض الاحداث الهامة التي رافقت تاريخ هذه المدينة وهي جديرة بالتسجيل والنشر، وهذه دراسة سريعة تتناول كل ما يمت لهذا البلد الكريم بصلة تاريخية وسياسية وادبية، نقدمها للقارئ بمثابة التعريف الذي يحتاج اليه الباحثون والمنقبون، وقد شملت محتويات هذا الكتاب موقع العرائش ثم نبذة من تاريخها يسجل بعض الاحداث من القرن السابع حتى القرن الرابع عشر الهجري، ثم ينصرف الكلام على ما انجز فيها من مشاريع في الايام الاخيرة، ونحن نرجوا ان يكون هذا الكتاب ذا فائدة للقراء الافاضل، والله من وراء القصد.

وحرر بـ فاتح رجب 1389، موافق 13 شتنبر 1969، العرائش

رئيس المجلس : محمد احمد الشنتوف

موقع العرائش

العرائش هى احدى المدن الشاطئية في الشمال الغربي للمغرب لها ميناء على المحيط الاطلنطكي، تقع على الضفة الجنوبية لنهر لكوس، وعلى شاطئي المحيط فوق مرتفع يطل على البحر شمالا، وعلى وادي لكوس من الناحية الشمالية الشرقية .الدرجة 9 و 12 دقيقة من خطوط الطول الغربية و 12 و 15 دقيقة من العرض الشمالى في ارتفاع قدره 12 متر فوق سطح البحر، يعمر البناء فيها مساحة تبلغ 200 هكتار ويصل عدد نفوسها في الحاضر 47193 نسمة، وتعد من المدن العتيقة التي لها تاريخ حافل بالبطولة المغربية، وهي بلدتان مدينة قديمة، ومدينة حديثة والمدينة القديمة خمسة ابواب : باب البحر وباب المرسى وباب القصبة وباب المنجرة وباب بارة، وقد اسست المدينة الجديدة خارج بوابة البلدة القديمة على قواعد البناء الحديث في الهندسة والتخطيط.

تبلغ مساحتهما معا الان 23 ـ 31 كيلومتر مربع ويفصل المدينة القديمة عن المدينة الجديدة اسوار عريضة قديمة بنيت على عهد ملوك السعديين، وتنحصر المدينة القديمة في منحدر مرتفع يواجه وادى لكوس عند مصبه.

وكانت مرفأ من مرافئي المحيط الاطلسي، مقسمة الى عدة احياء منها حي القبيبات الذي يفصله عن البحر حصن الفتح، وحى الميناء القديم الذي يمتد ما بين مصب النهر المذكور والمكان المنحدر من المرتفع وهي القصبة القديمة (دار المخزن) وحي الغريسة المتصلة بالقصبة، هذه هي الاحياء القديمة، ثم احياء جديدة خارجة عن الاسوار تزيد عمرانا مع مر الايام والسنين، وقد تضاعف عمرانها واتسعت شوارعها بعد استقلال المغرب.

وتنحصر مدينة العرائش بالبحر وبدائرتي القصر الكبير، واصيلة، وهي من المدن المغربية الحافلة بتاريخها الوضاء، وقد حدثنا التاريخ عن

معارك عظيمة دارت رحاها في هذا البلد الامين، وتشتهر العرائش في القديم ببساتنها الخضراء، وبمرتقالها وسمكها التي تصدرهما الان الى الخارج، كما عرفت الان ببعض الصناعات الحديثة كالتعليب وغيره، وهى همزة الوصل بين شمال المغرب وجنوبه تمر عليها الطريق الرئيسية الممتدة من الجنوب الى الشمال عبر طنجة عن طريق مدينة اصيلة، وتطوان وسبتة عن طريق سيدي اليمني واربعاء عياشة تبعد العرائش عن طنجة بنحو 90 كيلومتر وعن تطوان بنحو 104 كيلومتر وهى اداريا تابعة لاقليم تطوان ومن البلديات في المملكة المغربية.

ولها مناخ تنتظم درجة حرارته بصورة عجيبة.

المعدل السنوى لضربة اشعة الشمس 17 - 27. ونظرا لموقعها بشاطئى المحيط فان العرائش تنعم بجو معتدل بسبب سقوط الامطار « طبيعة الارض » تتكون أرضها من الحجر المتين المجمد المغطى شيئا ما بالرمل والوحل الاحمر.

احـــواز الـعـرائـش

تتكون احواز مدينة العرائش من القبائل المجارة لها وهي اولا قبيلة الساحل التي تحد بالضفة الشرقية لوادى لكوس وبما وراء اطلال مدينة (تشمشت) حيث ضريح سيدى عبد الرحيم الروضة المشهورة على شاطئ البحر الاطلنطكي جنوبا ومن مراكز هذه القبيلة قرية (الخميس) التي تبعد عن العرائش باحد عشر كيلومتر ثم تمتد قبيلة الساحل الى مدينة (اصيلة) التي تبعد عن العرائش بـ 39 كيلومتر ثم يتصل بالساحل شمالا البدور ثم مزورة ومركز هذه الناحية سوق الاثنين (سيدي اليماني) الذي يبعد عن العرائش بـ 26 كيلومتر ويتصل بالساحل شمالا ايضا قبيلة الخلوط حيث يوجد سوق (ثلثاء رسانة) وبهذا المركز محطة للقطار الرابط بين طنجة وفاس وباقي مدن المغرب في الجنوب ويبعد هذا المركز بنحو 22 كيلومتر ويتصل بالخلوط عن طريق ثلثاء ريسانة قبيلة بني جرفط حيث مركزها الادارى وهو سوق السبت الذي يبعد عن العرائش بنحو 33 كيلومتر ثم يتصل ببني جرفط قبيلة سوماتة التي تبعد عن العرائش بنحو 43 كيلومتر ثم يتصل بسماتة قبائل اخرى وهي قبيلة آل سريف وقبيلة بني يوسف وقبيلة بني عروس التي تتصل هذه الاخيرة من ناحية اربعاء عياشة بالبدور وبمزورة تبعد عياشة عن العرائش بـ 35 كيلومتر منها تبتدئ بني عروس في اتجاه شمالى الى مركزها الرئيسي خميس بني عروس وهو سوق عظيم في الناحية ومركز لقيادة القبيلة الكبيرة التي تشتمل على ثلاث جماعات قروية جماعة عياشة وجماعة الخميس الذي يبعد عن العرائش بنحو 71 كيلومتر وجماعة تزروت وفيها ضريح الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش الذي يبعد ضريحه عن العرائش بنحو 104 كيلومتر.

اما العرائش من ناحية الشمال فتتصل بها فرقة من الخلوط وهم «اطليق» تختلط هذه الفرقة من الخلوط بضواحى العرائش لا يفصلها عنها الا النطاق الحضري للمدينة وتنطلق هذه الفرقة على شاطئى الاطلنطيكي جنوبا الى ان تقرب من ضريح مولاي بوسلهام ومن جمعة للاميمونة بالغرب ثم تصعد في جهة الشمال الى مركز عرباوة وتقرب من مدينة القصر الكبير الذى يبعد عن العرائش بنحو 36 كيلومتر ومركز هذه الفرقة من الخلوط قرية العوامرة التي لا تبعد عن العرائش الا بنحو 14 كيلومتر وبها قيادة الخلوط بقسميه وسوق من اهم اسواق الناحية ثم تلتحم فرقة اطليق بالفرقة الاولى من الخلوط حيث يكونان قبيلة واحدة من اهم قبائل اقليم تطوان فلاحة واقتصادا، والخلوط عنصر واحد متكامل بمميزاته فهناك عوائد متشابهة تميزها عن غيرها من قبائل الناحية وترجع الخلط في اصلها الى الفئات العربية المحافظة على عوائدها فهم بطن من بني عقيل بن كعب بن ربيعة وليسوا من جشم، وقال ابو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني الخلط هم بنو عوف وبنو معاوية ابني المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن صعصعة فكان الخلط اول امرهم بالمغرب ببسيط تامسنا وهم أولوا عدد وقوة وشيخهم اذذاك هلال بن حميدان بن مقدم فخالفوا على ملك المغرب العادل بن المنصور الموحدى وهزموا عساكره وبعث هلال الى الملك المامون بن المنصور سنة 625 هجرية وبايعوه ثم لما ظهر بنـو مرين صار الخلط كله الى بني مرين وعاشوا على ترفهم وعزهم الى ان جاء احمد المنصور السعدى وراى من شجاعتهم وجلادهم في القتال يوم وادى المخازن فاختار النصف منهم وجندهم وبقى النصف الاخر في غمار الرعية ونفلهم الى ازغار وبلاد الغرب الى حدود العرائش والقصر الكبير فاستوطنهم هنالك فعاشوا في تلك البلاد. وهم اولوا بأسى وقوة ثم كان من امرهم انهم قتلوا ابا عبد الله محمد العياشى المجاهد الاكبر.

واذا نظرنا الى العرائش وهذه الناحية فنجد الارتباط الوثيق بين مدينة العرائش وبين هذه الناحية قائم بينهما منذ اقدم العصور فكان

سكان العرائش الاقدمون يتصلون بسكان هذه الناحية عن طريق المصاهرة وغيرها وهم بدورهم يختارون المدينة وينزحون اليها في عصور مختلفة حتى كان اغلب سكان هذه المدينة من القبائل المجاورة كذلك كانت العرائش ولا زالت هي مقر الحكم للناحية فهم مرتبطون بها سياسيا واجتماعيا منذ زمن قديم وان كانت فيئة من اهلها الذين سبقوا اليها يتزمتون ممن ينزح اليها بعدهم لاقتناعهم بان هؤلاء دخلاء بزاحمونهم في المكان والزمن بدعوى ان هؤلاء الدخلاء المهاجرين هم سبب الضغط على الخدمات العامة العلمية والتربوية والرعاية العامة وهذا لا يخص مدينة دون اخرى، فالنازحون من اهل البوادي الى المدينة لا بد ان يعيشوا في اصطدام مستمر مع فئة من اهل المدن الا ان ذلك يختلف باختلاف حجم المدينة وبوجود العمل للميد العاملة اما تاريخ هذه الناحية فحافل بكل ما تستوحيه الشهامة المغربية والاصالة العربية والغيرة الاسلامية من شجاعة وحب للخير ونخوة تجلت قديما وحديثا في الدفاع عن حوزة البلاد وفى صيانة التعاليم الاسلامية فكل قبيلة من قبائل الناحية لها ما تفخر به من ابطال ومن صلحاء وعلماء وامجاد كانوا نبراسا يهتدى بهم عرف التاريخ العديد منهم إذ ضمت قبيلة بني عروس عددا كبيرا من الامجاد فبها يوجد جبل العلم وبه ضريح الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش بن ابى بكر الجد الجامع للاشراف العلميين وببني عروس اضرحة اجداد واعمام واخوان للشيخ المذكور وهما بملاح وموسى ابنا مشيش بن ابى بكر بن على بن حرمة ابن عيسى ابن سلام ابن مزوار الخارج من فاس الى (حجر النسر) وهو ابو سلام سيدي مزاور بن على بن محمد بن ادريس بن إدريس الاكبر الذي يوجد ضريحه بالحصن المذكور بقبيلة سوماتة وقلعة حجر النسر خربت على يد الاندلسيين ايام الوزير المنصور ابن ابي عامر كما يوجد بسماته ضريح الفقيه الاستاذ السيد احمد بن يرمق العالم والشيخ الشهير وغيره من علماء وصلحاء وفي بنى جرفط اضرحة اجداد اولاد غيلان الذين كان لهم صيت في الجهاد والصلاح وفى بني عروس قرية تزروت الذي قال عنها ابن زاكور في كتابه الاستشفاء من الالم في التلذذ بذكر آل العلم، قد احدثت فيها الاشراف بنور يسون من

البنيان المرصوص ما لا يوجد في الحواضر على الخصوص وفي المعارك التي خاضتها هذه القبائل مع الاسبانيين عند احتلالتهم لها ما يكفى للاستدلال على شهامة ابناء هذه النواحى كما يحدثنا التاريخ عن الدفاع البطولي الذي قامت به هذه الناحية عن العرائش سواء مع البرتغاليين او ضد الاسبانيين وغيرهم، وباحواز مدينة العرائش سد (وادى المخازن) على نهر لوكوس الذى دشن بداية العمل به يوم الخميس 19 صفر عام 1394 موافق 15 مارس 1974 جلالة الملك الهمام الحسن الثاني الذي سيكون خيرا وبركة على هذه الناحية وعلى جميع هذا البلد الكريم.

شعار المدينة

وقد وضع في الايام الاخيرة شعار للمدينة يرمز الى عوامل تاريخية تتوفر عليها المدينة قديما وحديثا وتتميز بها عن غيرها من مدن المغرب. والشعار رمز مؤلف من عدة اشياء، هذا شرحه : يحتوى الشعار على لون يرمز الى الاسلام ولون آخر يرمز الى الاقليم الذي توجد فيه مدينة العرائش كما يخترقه رمز افقى بمثل وادى لكوس الذى كان يظنه القدماء حية (لادن) حارسة بستان (لاس اسبيريديس) والثلاثة تفاحات من ذهب ترمز الى هذا البستان والاخوات الثلاثة (لاس اسبيريديس) الاتي تسمى بهن الحديقةالعمومية التى تحت برج اللاقلاق، وتحت الشكل الذي يرمز الى وادى لوكوس عنقدان من العنب يرمزان الى العلامات القديمة التي هى مصدر الاسم الذى تسمى به المدينة، كما يحتوى الشعار على سمكتين كبيرتين من نوع (التون) ترمزان الى المنتوج الصناعي الرئيسى للمدينة ثم اللون الاخضر المعبر عن الطاعة للملك والاخر الذى يرمز الى الاخلاص للوطن، ويحتوي الشعار كذلك على جملة اتخذت رمزا للمدينة وهى «الايدي العاملة هى التي تسلك بالانسان طريق الفلاح».

وفي اعلاه تاج ذولون قضي هولون البلديات يحتوي على ثلاثة ابراج هى : برج القصبة، وبرج القبيبات (حصن الفتح) وبرج اللاقلاق وتلك ابراج المدينة.

وتقع مدينة العرائش في منطقة خصبة يمكن لها ان تؤدي الان دورها في الاقتصاد الوطني كما كانت تؤديه في العصور السابقة لقد ادى ميناء العرائش دوره في ميدان التصدير والاستيراد اوائل هذا القرن

بالخصوص اذ كانت التجارة فيه عام 1913 ميلادية تتسم بالرواج الواسع تقدر بمبالغ عالية، ورغم الفتور الذى عرفته العرائش في الايام الاخيرة نراها الان تتكيف مع العصور والازمنة يحدوها دافع يمليه الاقدام تحت تاثير الاقتصاد العصري والسياحة الدولية غير ان ذلك لا يمنعها من ان تظل وافية لشعارها الخاص الذى تتميز به عن سواها من مدن المغرب.

واغلب مورد لها الان موسم الحوامض وتصدير السمك وصيده وحيتانها من اجود انواع الحوت.

الأيدي العاملة هي التي تملك بالإنسان طريق الفلاح

العرائش في اللغة والتاريخ

يرجع تاريخ مدينة العرائش الى عهد الفنيقيين والقرطاجنيين والليبيين والرمانيين والبربر ثم العرب، وذكر بعض المؤرخين انها كانت موجودة قبل الميلاد بنحو الفي سنة، وبتعاقب الدول على هذه الناحية، اشتق لموقعها عدد من الاسماء المناسبة لقيمتها في راي الامم والاجيال، وجريا على عادة تقلب الازمنة والاحوال، ومن سياق ذلك ما ذكره بعض المؤرخين واسترسله المحدثون في ذكر الاسطورة اليونانية انهم اختلفوا في موضع بستان بنات هسبيرد وشجرتهن العجيبة التى كانت شائعة في زمن الرومانيين وفى عهد البزنطيين بعدهم، اختلف علماء الاساطير فقالوا انه كان فى البلاد الطرابلس بليبيا، وقالوا انه كان بجوار طنجة، ومنهم من مضى فى التدقيق فذكر الارض التي يجري فيها نهر لكوس، وحدد المكان الذى سكنته بنات (هسبيريد) الحسان في ظل شجرة تفاحهن الذهبي فقال، انه على شاطئ النهر عند مصبه حيث تقوم اليوم مدينة العرائش وتحت برج اللاقلاق اولائك الحسان الثلاث، وقيل سبع عدد الثريا، بنات نعش الكبرى كن يسكن المغرب الاقصى - كما جاء في التقاليد القصصيه - على شاطئ المحيط حيث تختفي الشمس كل يوم وكل يوم تعود لتشرق عليهن وعلى بساتينهن.

اما التنين حارس تلك الشجرة فهو المعروف برمزه الذى لا يزال يدعى باسمه القديم لوكوس، وقد سمى النهر باسماء متعددة منها لترون ولاطرون لغة اغريقية، ولوتيسس ولتوس لغة اسرائلية، وهذا الاسم الاخير منه اشتقت كلمة لوكوس، وقال بعض المؤرخين، ان كلمة لوكوس، معناها في اللغة الفنيقية الذئب، ولم يجد العرب صعوبة في تحويل لوكوس الى ال لكوس ثم الى لكوس، وهذا الذئب الحارس لا يزال رابضا عند سيف المحيط فيهدر عندما تزمجر رياح الجنوب

ويرغد ويزبد تحت سياطها الكاوية وهو ايضا يحيى الارض التي لا تزال حافلة بالكنوز، ينبع نهر لوكوس من منطقة جبالة، حيث قبائل بنى زكّار وبنى يوسف والاخماس وآل سريف ويصب بالعرائش بعدما يقطع 100 كلم سيرا. ومن روافده وادى المخازن الذى منبعه من جبل ابى هاشم حيث قبيلة بنى عروس، وعند منبعه يسمى وادى السطاح.

اما الاسماء التى وضعت لهذه المدينة حسبما ذكره قدماء المؤرخين فهى : لتيجر، وليكوس، ولونتوس، وليكسا، وبسفداد، بباء فسين فداليون وغيرها من الاسماء، ويفهم من هذه الاسماء انهم كانوا يشتقون لها اسماء من النهر الذى تقع على مجراه وهو نهر لوكوس، وذكر بعض المؤرخين ان اول من اسس مدينة العرائش او المدينة التى كانت تحل محلها هم الليبيون، وبعدهم عمرها الرمانيون، وكان الفنقيون قد قاموا بتأسيس مراكز تجارية على الشاطىء الاطلنطيقي بالمغرب، وكان من بين هذه المراكز مدينة ليكسوس التى كانت تقع على الضفة اليمنى من نهر لوكوس الحالي وكانت هذه المدينة تشتمل على عدة احياء ذات جدران قديمة يبلغ محيطها 1800 م كما تشتمل على مظاهر عديدة تشهد بالتقاء عدة حضارات بها من بينها الفنيقية والرومانية والاسلامية وتابع الفنيقيين القرطاجنيون ثم اصبحت مستعمرة امبراطورية في العصر الرومانى، ووصلت الى الذروة في عهد الامبرطور (كلود) اذ كانت محاطة بسور ومحتوية على معبد مهم تحولت اهميتها بعد ذلك الى مدينة (تسميشت) التى خربت ايام الفتن فانتقل اهلها الى العرائش القديمة.

ويؤكد (تيسو) وجود مدينة ليبية مع ميناء على الضفة اليمنى سماها بعض الكتاب ليكوس ليبيا وفي سنة 789 م اطلق اسم العرائش على هذه المجموعة من الابنية.

وقد اقتصر الفنيقيون الذين تعرفوا على الشواطىء المغربية في الالف الثانية قبل الميلاد على اقامة متاجر بالساحل لم تكن لها صبغة سياسية ولا عسكرية مثل سوسة وبنزرت وصلداى (بجاية) وهبوا (عنابة) وتينجيس (طنجة) وليكسوس (العرائش) وروسادير (مليلية)، والاغريق هم الذين سموا الكنعانيين، فنيقيين وكان ذلك حوالى 1200 قبل الميلاد، وفي هذا العهد شمل التطور المداشر والقرى في السهول والجبال وبدأت الامة المغربية تنسجم وتتكتل بدون سلطان، لانها لم تكن في ذلك العهد قد وصلت الى درجة من الرقى حتى تكون دولة بل كانت على شكل مجموعات وعلى هيئة القبيلة وكأنها كانت تتهيأ لتكون شعباً منسجما ودولة ذات كيان ونظم.

ولقد اشار الجغرافي بوبونيو ميلة الى العملاق « انط » العدو اللدود « لهرقيلس » الذى دفن بالقرب من العرائش حسب ما يقرره بعض المحققين وفى العرائش توجد بساتين هسبيريد ذات التفاح الذهبي الذي يمنح كل من ملكه شبابا ازلياة. هذه اساطير الاولين نقلها بعض المؤرخين الاجانب عن الاقدمين.

نبذة من حيـاة هذه المدينة

يجمل بنا في هذا الفصل ان نذكر بايجاز نبذة تاريخية من هذه المدينة في عهد الادارسة وما بعدهم الى عهد المرينيين، ورغم هذه المدة الطويلة فاننا ندون هنا ما سجله المؤرخون في كتاباتهم على هذه الناحية التى امتازت بخصوبتها ونعومتها على مد الايام والسنين، فقد لاحظ الجغرافى اليونانى (سترابون) في هذه الناحية ظاهرة الخصب وقال : ان بسيط العرائش كان فيه من الخصب بحيث تنتج حقوله مائتين وخمسين ضعفا نظرا لتوفر الازوط والفسفور الضروريين لتغذية التجيلات، ومنها الزرع وعشاب المروج والخيزران وقصب السكر والبرتقال او غيره من انواع الفواكه وقد كان نهر لوكوس الذى يشرب المحيط الاطلسى من مائة دوما ولا يروى محل الذئب الرقيب على الداخل والخارج، اذ كان مرفأ العرائش المنفذ الوحيد والمورد الدائم تصدر منه البضائع وترد عليه اخرى، الامر الذى اكسبه شهرة عالمية فى الداخل وبين القوافل التى كانت ترد من الخارج، فقد روى التاريخ عن شواطئ المغرب انها كانت مرتادة قبل الفتح الاسلامى لكل من استطاع خوض غمار البحار من الدول المتعاقبة على مسرح هذا العالم وكانت كعبة القوافل التجارية الضاربة فى عرض البحار طلبا للتجارة وبحثا عن الاسواق النافعة لعرض بضائعها وربط صلاتها بمن عداها من الامم وفي هذه الفترات التى كان المغرب فيها لم ينعم بنظام دولى قار، عرفت سواحل المغرب عددا من الدول التى تعرفت على المغرب وبادلت اهله البضائع والصنائع وبعض العادات والتقاليد الموجودة الى الان، تلك العادات التى جعلها بعض المؤرخين دليلا على رأيه من كون المغرب كان مستعمرا بتلك الدول وقد بلغ مركز العرائش في تلك العهود ذروته في التجارة والعمران وبقى على ازدهاره ونشاطه الى ان جاء المولى ادريس الاكبر الى المغرب واتخذ (وليلي) عاصمة ملكه، فاتجهت

الانظار الى العاصمة الجديدة وانتقل ارباب التجارة والمال اليها، فأخذت اسباب الضعف تدب الى هذه الناحية وتوفر ذلك مع مر الايام الى ان اصبحت العرائش قرية صغيرة تعرف بعرائش بنى عروس، قال ابوا القاسم الزيانى في ترجمانته ان العرائش اسست في صدر الاسلام، اسسها نصارى البرتغال عام اثنين وعشرين ومائتين هجرية، ولكنهم لم يمكثوا بها طويلا، فأخرجهم الادارسة منها وجعلوها مكانا للمرابطة وبنوا بها حصنا، وقال بعض المؤرخين ان مؤسس العرائش هم برابرة بنى عروس، فهم الذين نزلوا على مصب نهر لكوس واقاموا عليه عرائشهم سكنوها واستمروا بها مدة من الزمن يعيشون من صيد الحيتان او مما يلفظه البحر من ذخائر طبيعية او شحنات تجارية ثم تطورت لديهم الحياة فاستبدلوا العرائش بالاكواخ ثم انتقلوا الى البناء بالطين ثم بالاحجار والبناء واختطاط المنازل من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة. وهذا خبر يستدل عليه صاحبه بوجود اسماء بربرية لمداشر توجد في قبيلة بنى عروس الى الان مثل تاجزارت، تازروت، تالايامين تامز كيدة وغيرها. وهذا رأى لا بهدأ عنده بال، اذا نعلم تاريخيا ان كلمة بنى عروس ليست اصيلة في اسم مجموعة المداشير التى تسمى الان ببنى عروس، فهى معربة او مستبدلة بمستحدثه من غيرها الاصلية كما وقع ذلك في جل القبائل المغربية وقال بعضهم ان اسم العرائش من تسمية العرب لها به، وذلك ان السلطان يعقوب المنصور الموحدى كان قد انزل عرب. رياح بين القصر الكبير وازغار وملأ بهم الوهاد والسهول، وانزل الهلاليين بمحل العرائش ونواحيها واجتمعوا في موضع العرائش وجعلوه قاعدة رئاستهم وهم الذين اطلقوا عليها اسم العرائش فصارت في ذلك العصر قرية صغيرة وهى الى البداوة اقرب، قاله في الاتحاف، هذا بالنسبة للعرائش، اما مدينة (تسمشت) التى لا تزال أطلالها ماثلة امامنا فان بانيها الاول اجنبى فنيقي او رومانى لها ارتباط بقاديس الاسبانية في العصور القديمة يرجع الى وقت تاسيسهما الا انها خربت مرات عديدة فكان الخراب قد اصابها قبل الاسلام واعادها العرب ولكنها خربت بعد الادارسة وانتقل اهلها الى العرائش القديمة، ويظهر

ان الخراب اصاب المدينتين معا في الحقبة التي اعقب دولة الادارسة واول قيام دولة المرابطين ولذلك لم نجد اسم العرائش بين المدن المغربية التي ذكرها الشريف الادريسي في نزهة المشتاق فذكر المدن الشاطئية من سبته الى سلا ولم يذكر العرائش، بل اقتصر على تسمشت وقال عنها انها كانت مدينة كبيرة ذات سور من حجارة يشرف على نهر سفدد وبينها وبين البحر نحو ميل ولها قرى عامرة بأصناف البربر وقد افتتنتهم الفتن واباداتهم الحروب المتوالية عليهم، أما العلامة ابن خلدون فقد ذكر العرائش في مقدمة تاريخه وعدها من المدن التي تقع على ساحل البحر المحيط، وهذا دليلا على وجودها في سنة 779 هجرية الذى هو تاريخ تأليف مقدمة تاريخه، اذ كانت قائمة البناء في تلك الفترة، والذى يحدثنا به التاريخ هو بقاء العرائش وتسمشت تحت حكم الادارسة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة هجرية وكان الامير منهم إذذاك هو السيد ابو العيش احمد بن قاسم كنون بن محمد بن قاسم بن الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل. وكان الامير ابو العيش عالما فقيها دينا ورعا حافظا شجاعا عرف في بني ادريس بأحمد الفاضل ملك اكثر بلاد المغرب وخطب له على منابره من تأهرت الى طنجة، وبقيت هذه البلاد تحت حكمه الى ان ضيق عليه عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس، فنزل له اولا عن سبتة وطنجة، وبقى هو بما عدا ذلك وبعد ذلك استخلف ابو العيش على عمله اخاه الامير الحسن كنون، ودخل الاندلس بقصد الجهاد وملك الناصر لدين الله بعد ذلك ما كان تحت يد الادارسة الى ان اخرجه عنها جوهر الصقلي قائد الفاطميين ثم رجعت مرة اخرى الى حكم الامويين اصحاب الاندلس، وفى هذه الفتن والحروب التي كانت بين الادارسة والامويين من جهة وبين الفاطميين والادارسة والامويين من جهة اخرى اندثرت عدة مدن كانت على عهد الادارسة، ومن تأسيسهم كالبصرة وحجر النسر وتسميشث وغيرها، ثم اعقب ذلك مجيء المرابطين الذين وجدوا المغرب قد تشتت احواله وتكونت به امارات ولم يستقر الملك لهم الا بعد حروب طاحنة تخرب من جرائها عدد من المدن المغربية الذين استعصت عليهم

وابدت مقاومتهم، فكان يوسف بن تاشفين رحمه الله شديدا مع الممتنعين عليه والواقفين عن طاعته، ونجده فعل مثل ذلك بمدينة النكور الريفية وغيرها من الاماكن التى استعصت عليه ووقفت فى وجهه.

وقائع العرائش عبر التاريخ

بدأت الغارات على العرائش من طرف الفرنجة فى عهد بني مرين، ومن ذلك الحين وهى عرضة لهجوم الاجانب وهدف لهم ولقذائفهم، فقد ذكر صاحب الذخيرة فى تاريخ الدولة المرينية ان العرائش قد بنيت عام سبع وخمسين وستمائة على يد يوسف بن علي قائد المسلحة ايام يعقوب المريني وابنه يوسف واشارت الذخيرة فى صحيفة 137 الى حصن تسمشت ليكسوس وحصن العرائش اللذين دخلهما النصارى عام ثمان وستين وستمائة هجرية، وذكر سبب الهجوم الذى تعرضت له مدينة العرائش وذلك ان يعقوب بن عبد الله كان قد خرج على ابي يوسف السلطان بمدينة تازة فهجم بحرا على سلا واحتله وسرعان ما طار الخبر بالاحتلال الى السلطان وهو بتازة فهرع الى سلا وحاصر النصارى بها وفر يعقوب بن عبد الله الى حصن علودان من بلادغمارة وتمنع به، اما النصارى فخرجوا من سلا فى سفنهم وصاروا يترددون قرب الشواطىء المغربية يبحثون عن الماء والطعام والمغاربة يراقبون خطواتهم ويردونهم عن النزول الى البر اينما حلوا الى ان اقتحموا العرائش غفلة، وحينما شعر بهم الاهالى قاومهم وقاتلوهم قتالا مريرا واسرو منهم 153 اسيرا نظير الماء بعد تخريب المدينة، وانفصل بعض النصارى عن جماعتهم وحصلوا على الامان والتحقوا بخدمة أبي يوسف وذكر بعض المؤرخين ان السلطان يعقوب المنصور المرينى كان وقت هجوم الفرنجة على العرائش مشغولا بفتح مراكش، وزاد المؤرخ ان النصارى دخلوا العرائش وقتلوا رجالها وسبوا نساءها واضرموها نارا ورجعوا من حيث اتوا الا ان المرينيين قد اعادوا بناء مدينة العرائش ورتبوا بها رباطا كان يؤدى دوره فى الميدانين الدينى والدفاعى وصادف ان كانت حركة المرابطة قد نشطت فى المغرب والاندلس وفي كل بلاد الاسلام على

عهد القرن الخامس الهجرى الذى بلغ فيه الصراع بين المسلمين والفرنجة أشده فى البر والبحر، فكانت اساطيل الروم تغير على الثغور من موانئ جنوب اروبا وجزر الابيض المتوسط، فاضطر المغرب كغيره الى تحصين الثغور بالمقاتلة الذين اخذوا يرابطون فيها بقصد الدفاع عن المسلمين ومن اشهر الرباطات القديمة بالمغرب، رباط تازة ورباط وادى ماسة ورباط سلا ورباط ازمور ورباط اصيلة وغيرها من الرباطات التي يرجع عهدها الى الادارسة والمرابطين والموحدين ثم المرينيين، وكل مكان للمرابطة كان يبتدأ تأسيسه ببناء الحصون فى الجهات التي يكثر تعرضها لغارات العدو ثم يقام بجانب الحصون زوايا لاداء الصلاة ولتدريس العلم، ثم الغرف التى ينزل بها المرابطون، وقد لعبت هذه الحركة فى تاريخ المغرب منذ الفتح الاسلامي دورا رائعا من حيث انها حمت الاسلام به من الفتنة، ووقت فيه المسلمين وجنبتهم شر المحنة بأن حالت بينهم وبين الانسياق فى تيارات النزاعات الضالة واوجدت فى المغرب جيلا من الفقهاء والزهاد والعباد وغير ذلك من العادات الحسنة التى غرستها هذه الحركة فى ابناء المغرب.

غارة البرتغاليين على العرائش

في سنة 884 هجرية موافق 1473 ميلادية كان الحاكم البرتغالي باصيلة قد قام بمحاولة فاشلة لانشاء برج برتغالي على الضفة اليمنى لوادى لكوس عند مصبه فى البحر امام مدينة العرائش الحالية كتحصين اول للانطلاق منه الى العرائش والى غيرها، وكان المكان الذي حاول اقامة البرج فيه يسمى جزيرة مليحة وهو المكان الذى كان ولا زال لا ستخراج الملح منه لان مياه البحر تعمره كل سنة ثم تنحسر عنه والذاهب من العرائش الى طنجة يشاهد ذلك عند الخروج من المدينة عن يسار الطريق والمكان ليس بالجزيرة بل هو شبه جزيرة، وقد مينت محاولة البرتغاليين بفشل ذريع حيث ردوا على أعقابهم خاسرين، فتذكر الروايات النصرانية انهم تمكنوا من الدخول الى النهر من البحر وانهم انزلو جنودهم قريبة من اطلال «تسميشت» وانهم سموا المكان الذى نزلوا فيه الجزيرة اللطيفة وانهم شرعوا فى تشييد حصن هناك ولكنهم لم يستطيعوا اتمامه امام الهجوم العنيف الذى هجم به عليهم سلطان المغرب محمد الشيخ الوطاسي فاضطروا الى خلاء المكان والرجوع من حيث اتوا في نفس السنة وتقول الروايات النصرانية ان السلطان المذكور بعد اجلاء البرتغاليين عن خزيرة مليحة انشأ مسجدا فى مكان البرج واقام عمارة هناك وأنه ادرك اهمية ذلك الشاطئي الخطير الذي هيأه مصب وادى لكوس للنزول منه الى البر فرأى من اجل ذلك ضرورة تحصينه لصد غارات النصارى ثم بعد مدة من الزمن كلها كانت فى تطهير الشواطئى المغربية شرع فى بناء مدينة العرائش الحالية على يد ابنه محمد الناصر المعروف بالبرتغالي وقد اشار الى هذه الواقعة بالتفصيل والتدقيق العلامة المؤرخ ابو عبد الله محمد الكراسي قاضي تطوان فى ارجوزته التي اسماها (عروسة المسائل فيما لبني وطاس من المسائل) دون رحمه الله فيها احداثا مهمة كانت فى فترة غامضة من تاريخ المغرب لانه

عاشها اذ ولد رحمه الله قبل قيام الوطاسيين وتوفي بعد انمحاء رسوم دولتهم وذلك فى عام 964 هجرية ودفن بباب المقابر بتطوان والى عمارة جزيرة مليحة اشار رحمه الله يقول:

وجاءت الروم الى الجزيرة بكل اسطول وكل ميرة
ودخلوا فى وادى آل لوكوس ذاقوا به الهوان بالنكوس
هنا اذ ذاك اقامو بلدا واسكنوا فيه الطغاة والعدا
جيش اهل الغرب طراودنا وكان للغرب نصير مأونا
جاهد بالمال وبالنفوس فى قطع قصد الكافر اليئيس
ولم يزل مع المجاهدينا من فاس والانجاد اجمعينا
لحقهم قبل تمام العمل وقد ادروا سور لوح معمل
وجيشوا فيه بستين مأئة من صانع وقائد من الفيئة

حاصرهم المجاهدون فى برجهم الذى اقاموه وبنوا سوره وطوقهم المغاربة من كل جهة اذ قطعوا عليهم الممرات البرية والبحرية فاقتربوا منهم ونازلوهم على شفير الوادى وقطعوه عليهم فجعلوه غير صالح للملاحة اذ صنع المغاربة سلل من القصب وجعلوها وسط الوادي وهى مملؤة بالصخور فاغلقت السلل الوادى وجعلته غير صالح لمرور البواخر والاجفان فيه وتم بهذا العمل حصر النصارى من كل جهة فدام حصارهم مدة من شهرحتى ايقنوا بالخسران والهلاك فمدوا ايديهم الى السلطان طالبين منه الصلح والامان واعطوه كل ما طلب منهم فامنهم وخرجوا من البلد كلها والى عملية الحصار هذه يشير الكراسي حيث قال:

نازلهم على شفير الوادى ورد في شماله الاعادى
وكان من ذا الرئيس الحبيب رأى سديد ردهم جليب
اذ قطع الوادى بجعل سلل من قصب وبالصخور تمتلي
انزلها بعمل التثبيث وقطع الوادى بلا تلبيث
وامتنع الطلوع بالاجفان فايقنوا بساعة الخسران

الى ان قال :

ثم فدوا نفوسهم بكل ما طلب اعطوه له متمما
من بعد ما دام الحصار شهرا والناس تباع لاولى الامرا

ثم قال رحمه الله بعد أن تم تطهير بلاد الهبط من كل النصارى سواء منهم البرتغاليون او الاسبانيون الذين احتلوا كل الشواطئ المغربية الشمالية حيث يقول :

اخلى جميع ما النصارى عمروا وجهة الهبط فكلا دمروا
وعاد للاسلام كل مسلم وسار جنس الكفر غير مسلم

وفى ايام مولى محمد الشيخ السلطان ابى عبد الله محمد الناصر ازدهر العمران بالمغرب وحصل الامن والطمانينة فى النفوس ورجعت حياة المغاربة الى سالف عهدها فى ايام بني مرين الذين تميز عهدهم بما كان عليه من علم ومعرفة وحضارة وادب وفنون وعمران اذ طبع ذلك بالطابع الاندلسى، اما بعد ضعفهم فكانت الحياة السياسة بالمغرب جحيما لايطاق ولا سبيل الى الحياد اذذاك فاما مع قائم واما مع آخر وعلى إثر اختلال الامر فى يد امراء بنى مرين المتاخرين منهم خرج الملك عنهم وانتقل الى وزرائهم الوطاسيين وبويع ايضا للشريف العمرانى بفاس، وثار اهل الشاوية وقاموا بالافساد ونشر الفوضى فى البلاد وخرجوا عن الطاعة واعلنوا العصيان على مقر الدولة بفاس ووسط ذلك الجو الملئى بالفتن قام بشفشاون الشريف سيدى على بن راشد برمز الجهاد ضد الغزاة اذ كانت ثغور المغرب خالية من كل نجدة وعارية من كل حمية فكان ممن تعرض للغزو من الثغور المغربية وهى خالية من كل حمية ثغر العرائش اذ غزاه البرتغاليون الذين هجموا عليه من مدينة اصيلة فكان ما تقدم ذكره فاضطر على اثر هذا الهجوم السلطان محمد ابن الشيخ الوطاسى الى عقد صلح مع الشريف الراشدى صاحب مدينة شفشاون وعقد صلحا آخر مع اهل الشاوية حتى يتفرغ للدفاع عن شواطىء المغرب ويطرد كل دخيل اجنبي عنها فنهض رحمه الله الى ثغر العرائش حسبما تقدم الكلام عليه ومنه انجه لاطفاء نار الفتن

التي اصابت المغرب بسبب التدخل الاجنبي والى كل هذا اشار الكراسي حيث قال في ارجوزته.

والغرب خال من رجاله ومن ... كل الذي يحرسه في كل حين
الشر فاء قبل كانوا فيه ... ما ان لهم في الفحص من وجيه
وكانت الشاوية الاعراب ... لا ينجو من اشخاصها الاسراب

وفي هذه الفترة، وفي القرن العاشر الهجري بالذات، اخذ نجم مدينة العرائش يظهر للوجود وبسبب تلك النكبات اخذت تحتل مكانتها بين المدن المغربية كثغر من ثغورها الاستراتيجية واولاها ملوك المغرب من هذا الوقت عناية فائقة حتى اصبحت مركز الجهاد والمقاومة ضد نصارى البرتغال الذين استولوا على طنجة واصيلة في ذلك الوقت ولقربها من الخطر الاستعماري، اصبح ثغرها رباطا قارا لا يخلو من حامية رتبت عليه لتحميه من كل اعتداء وتكونت بسببه اماكن للمجاهدين يتناوبون عليها وتطول مدة الرباط على مكان المرابطة، فاتخذه بعض المرابطين مقرا لهم، وفي ايام ابن الشيخ الوطاسي السلطان ابي عبد الله محمد الناصر بدأ المغرب ينعم بالاستقرار الذي فقده منذ استلاء الوطاسيين عليه فحصل الامن والطمانينة في النفوس، وعمرت ثغور المغرب بالعدة والرجال، وزاد السلطان على ما كان قد ابداه، والده وفيه يقول الكراسي :

وقام بعده ابنه المجاهد ... محمد السلطان ليث عاهد
اعطاه ربي النصر حيثما بدا ... طلع في المغرب بدرا وهدى
زانت به الارجاء والقصور ... وعمرت في وقته الثغور
زاد على ما كان فيه من عمل ... بعد ابيه وبه السعد اكتمل
كمثل تطوان والعرائش ... ولم يكن في وقته بفاحش

وكان السلطان محمد بن محمد الشيخ يعرف بالبرتغالي وعندما توفي والده محمد الوطاسي سنة عشر وتسعمائة هجرية على ما ذكره ابن القاضي في الجذوة بويع ابنه محمد البرتغالي ووجد نصارى سبته وطنجة واصيلة قد هاجموا بلاد الهبط وضايقوا المسلمين بها حتى

الجؤوهم الى قصر كتامة « القصر الكبير » فكان هو الثغر يومئذ بين المسلمين وبين ما احتله النصارى، وكان السلطان قد اعتنى بجهادهم وترديد الغزو اليهم حتى اشتغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها فصفا الجو للسعديين وتأتى لهم ان يقيموا دولتهم هناك لانشغال الوطاسيين بمدافعة العدو عن شمال المغرب وذلك سنة خمسة عشر وتسعمائة هجرية وفى سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة توفى السلطان محمد ابن محمد الشيخ وولى بعده ابنه العباس أحمد بن محمد وعقد الصلح مع النصارى المحاربين له ببلاد الهبط واشتغل بالحرب مع السعديين ودامت الحروب بين الدولتين انتهت بتغلب السعديين على الوطاسيين، فانقرضت دولتهم بموت أبى حسون وأحمد الوطاسى وتم الملك للاشراف السعديين.

ولكننا اذا القينا نظرة على المغرب العربى والاندلس في تلك الفترة التى نتحدث عنها نجد هذا الجناح الايسر من العالم العربى يغلى غليان القدر اذ سقطت دولة بنى مرين في مراكش سنة 869 ودولة بنى الاحمر ذهب ريحها في الاندلس سنة 932 ، ودولة بنى حفص في تونس سنة 940 واكبر كارثة وقعت في ذلك العصر هو طرد العرب من اسبانيا فلجؤا الى دول شمال افريقيا ثم لم يكتف الاسبانيون بما فعلوه من اخفاق صوت العروبة والاسلام بالاندلس .. بل تاقت نفوسهم الى الشمال الافريقى فاغاروا على الجزائر وتونس فهاجر اهل هذه النواحى الى باقى المدن المغربية واستنجد بعضهم بالاتراك واولا العثمانيون التركيون الذين وقفوا اذ ذاك في وجه الصليبيين لوقع احتلال شامل للدول العربية والاسلامية في ذلك العصر ولما تأخر الاحتلال الى ما بعد الحرب العالمية الاولى، وقد تحالف معهم السعديون بالمغرب ضد الصليبيين فوقف الاتراك على حدود المغرب الاقصى مطمئنين عليه من الاحتلال الاجنبى لما رأوه فى حلفائهم السعديين من مقدرة وصمود في وجه العدو الطامع.

احداث القرن العاشر الهجرى

ذكر صاحب مرآة المحاسن ان قصر كتامة (القصر الكبير) كان في صدر المائة العاشرة مقصدا للتجارة وسوقا تجلب اليه بضائع الدولتين وسلعها، وكان القصر المذكور ثغرا بين بلاد المسلمين وبين بلاد النصارى تحط به رحال المسلمين من آفاق المغرب وتجار الحربيين من أصيلة وطنجة وقصر المجاز وسبتة ولانه كان محل عناية سلطان المغرب اذ ذاك محمد الشيخ الوطاسى وفي هذه الفترة بدأت ثغور المغرب تسقط في يد البرتغال كأوراق الخريف واحدة تلو الاخرى وكانت الحملة المسعورة التى انهالت على المغرب في ذلك العهد وكان الابتداء بشواطئه فسار احتلال البرتغال لسواحل المغرب على الشكل الاتى، فأول ما استولى عليه البرتغال مدينة سبتة بعد محاصرتهم لها ست سنوات وتم الاستيلاء عليها سنة ثمانية عشر وثمانمائة هجرية موافق 1444 ميلادية وصارت الى الاسبانيين سنة 1668 ميلادية ثم بعدها احتل طنجة وذلك في سنة اثنين وستين وثمانمائة هجرية، وفى حدود ست وسبعين من المائة المذكورة ملك البرتغال اصيلة ثم في سنة سبع وتسعمائة نزل البرتغال ايضا فيما بين ازمور وتيط وبنى بها حصن البريجة (وهى مدينة الجديدة) وطال مقامهم بها ثم في سنة عشر وتسعمائة استولوا على مدينة العرائش، وفي هذه السنة ملك حصن اكادير وفي حدود اثنتى عشرة وتسعمائة استولى على اسفى ثم عطف على ثغر ارمور، وفي حدود عشرين وتسعمائة ملك المعمورة وهى المهدية، وفى هذه السنة رجع الى مدينة انفا وفي سنة 1497 ميلادية استولى الاسبانيون على مدينة (مليلية) وعلى حجرة النكور سنة 1673 ميلادية، وعلى باديس والجزور الجعفرية ولا زالوا في يد الاسبانيين، ولم يبق من ثغور المغرب الا القليل مثل سلا والرباط وفوجئ المسلمون بالمغرب من هذا البرتغال بالامر العظيم ونزل بالمغرب ما نزل

به من المصائب، اذ تغلب العدو عليه واستولى على ثغوره، ثم قامت الثوار واضطربت الاحوال وانتشرت الفتنة بالمغرب وكثرت الاطماع من الداخل، فتفككت الاوصال بين الاطراف المغربية باستبداد كل زعيم على جهة وانقطع حبل الامن في المغرب وعمت الفوضى حتى قيض الله من انقذه من التلف وجمع شتاته بعد التفرقة وطهر سواحله من الدخلاء، ذلك هم الاشراف السعديون الذين استرجعوا للمغرب عزته بتطهير شواطئه وتوسيع اطرافه الجنوبية وايقاف الاتراك عند حدوده الشرقية، وضرب الروم في المعركه الشهيرة عند وادى المخازن، تلك المعركة الحاسمة التى تركت المغرب يرفل في حلل العزة والمجد مدة طويلة من الزمن والى ان عادت الاطماع من جديد.

معركة وادى المخازن والسبب فيها

ذكر المؤرخون اسبابا كثيرة وعوامل مختلفة في تهيئ جو هذه المعركة العظيمة على ساحل وادى المخازن بعيدة عن البحر وعن شواطئه، فيجمل بنا ان نقتصر على ما نقله الناصرى في تاريخه الاستقصا عن منويل ما نصه :

قال منويل في تاريخه، ان محمد المسلوخ حينما دخل اشبونة وتطارح على طاغية البرتغال سبستيان يطلب منه المعونة على استرجاع عرش اسلافه فأجابه سبستيان وقبل طلبه بعد شروط تقتضي تسليم سواحل المغرب للبرتغال، وينفرد المسلوخ بداخل المغرب فذهب سيبستيان الى خاله طاغية الاسبان فيليب الثانى يطلب منه الاعانة على ما هو بصدده، فوعده بأن يعطيه من المراكب والعساكر ما يرضى غيره من الاروبيين ليملك به ثغر العرائش، لانه كان يرى احتلاله يعادل احتلال سائر مراسى المغرب، ثم أمده بعشرين الفامن عساكر الاسبان، وكانت العرائش كما قال السيد عبد الله امبارك في درسه الذى القاه بالمسجد الاعظم بالعرائش يوم الجمعة خامس ذى القعدة عام 1383 هجرية، موافق 24 فبراير 1969، قال السيد المذكور : ان ثغر العرائش كانت لعاب الاسبان والبرتغال والفرنسيين تسيل عليه ويرون احتلاله بوازى احتلال المغرب كله. وكان العامل على العرائش اذذاك من قبل السلطان أبى مروان المعتصم هو السيد احمد بن موسى الذى حضر معركة وادى المخازن، وكان احد القواد الخمسة الذين قادوا الجيش في المعركة وهم ابو على القروى والحسين رضوان العلج الجنوني، ومحمد ابو طيبة، وعلى بن موسى واخوه احمد عامل العرائش الذى جاء في جمعه الى السلطان عبد الملك وانضم اليه، فوقعت المعركة على ضفة وادى المخازن، ودارت الدائرة على المخلوع والبرتغاليين وطحنت رحى الحرب سبستيان والسلطان

المخلوع ومن كان في ركابهم وانتهت بانتصار الاسلام على الكفر، وبغلبة المغرب على الخلفاء وببيعة السلطان العظيم وظهوره في سماء المجد ودنيا الشرف صاحب التاج والصولجان، القائد المظفر احمد المنصور الذهبي السعدى والتحق المولى عبد الملك بالرفيق الاعلى، وكانت هذه المعركة الحاسمة بين المغرب والبرتغال في السنة 986 هـ موافق 1578 م وكانت الحد الفاصل بين البرتغال والمغرب بصفة خاصة والدول الاروبية بصفة عامة وقد شارك في هذه المعركة عدد كبير من المجاهدين المغاربة، وشارك فيها العلماء والصلحاء واهل الفضل والخير من مختلف الطبقات كالشيخ أبى المحاسن الفاسى الذى أبلى البلاء الحسن والشريف سيدى محمد بن على الريسوني وغيرهما من صلحاء المغرب ورجاله واستشهد فيها من كتبت له الشهادة، وكان من جملة من استشهد بمعركة وادى المخازن الشريف سيدى عبد الله بن محمد بن على الزيسوني الذى سيق الى العرائش ودفن بها الا انه اشتهر على السنة سكان العرائش باسم سيدى محمد الشريف، وبه تعرف حومة بالمدينة القديمة بالعرائش، وسماه المؤرخ باسم عبد الله وهو الصواب، وكان من امر الله وعزه للاسلام انهزام الكفر وانتصار الاسلام في هذه المعركة فتقهقرت الجيوش الصليبية وبقيت هذه المعركة غرة بيضاء في جبين المسلمين، وتغنى الشعراء بذكرها وبالنصر المبين، نقتصر على ما فاضت به عاطفة الشاعر المغربى داوود بن عبد المنعم الدغوغى ليصف لنا المعركة، والقصيدة طويلة اقتصرنا على بعض ابياتها ومنها قوله :

جنى النصر ما بين الظبا والكنائن ... على سابقيات المذكيات الصوافن
فبين المعالى والمآثر في الوغى ... يحول الذى يبغى اقتحام المدائن

الى ان قال :

وماذا يفيد الجيش ان كان ربه ... كسبستيان عند وادى المخازن
يقود له ما يحجب الشمس نقعه ... مياسره لا تلتقى بميمنه
أتى سادرا يختال في غلوائه ... وفي صدره للدين غلي الضغائن

ثم قال :

وسبستيان كفنته مياهه ... هزيما وماء النهر افظع كافن
فحين قضى البتار في الكفر ما قضى ... واشلاؤه فتن بغير مدافن
رأيت الوفا من رؤوس تجمعت ... ويا ليتها ايضا جدار المآذن
لقد ذاق فيه البرتقيز من الردى ... جزاء مناحس خزايا ملاعن
بغوا فجنوا جني البغاة فأصبحوا ... سماد الفيافي لاسماد الفدادن

عرفت هذه المعركة بمعركة الملوك الثلاثة، مات السلطان عبد الملك الذى قاد المعركة قبل انجلائها بموت طبيعي على قول وقيل من جراء سم اعطى له فاخفى موته حتى انتهت المعركة بالنصر العظيم الذى أحرز عليه المسلمون وخذل الله الكفار وانهزم الكفر ثم قتل في المعركة السلطان المخلوع وهو محمد بن الشيخ السعدى الذى خرج على عمه واستنجد بالبرتغال ثم قتل سلطان البرتغال الذى قاد الجيش بنفسه وخرج من اصيلة انفة وكبرياء لملاقاة السعديين على ساحل وادى المخازن قرب القصر الكبير فقتل سبستيان في المعركة وانهزم جيشه شر هزيمة، وكان مصرع سيبستيان حدثا هاما سجله ادباؤنا واضافوه الى مآثر بطل المعركة المنصور السعدى، والى مصرع سيبستيان وفتح السودان يشير الكاتب ابو فارس عبد العزيز الفشتالى في قصيدته الميلادية في معرض مدح المنصور السعدى حيث قال :

متوج أملاك الزمان وان سطا ... وعفرن في وجه الثرى وجه بستيان
وفتحن أقطار البلاد فأصبحت ... أحل سيوفا في معاقد تيجانى
من اللاء جر عن العدا غصص الردى ... تؤدى الخراج الجزال أملاك سودان

العرائش فى عهد بطل الدولة السعدية

كان ابو العباس احمد المنصور يعد للعدوان عدته ويهيئ لما عسى ان يبديه الخصم الذى عملت فيه اسلحه المغرب ما تتحدث به الاجيال، فاقام بالعرائش حصنين اثنين واطلق على احدهما حصن الفتح، ولا يزال ماثلا للعيان وهو حصن القبيبات سماه بذلك لبنائه اثر الفتح المبين والنصر العظيم الذى احرز عليه المغرب في معركة وادى المخازن، وفي وصف هذين الحصنين العظيمين يقول عبد العزيز الفشتالى في كتابه (مناهل الصفا في اخبار الملوك الشرفاء)، قال : واذا انتهينا الى الاثرين العظيمين والفلكين المحيطين الحصنين الذين ينم بهما على انف عدو الدين بمرسى العرائش العديمة النظير في مراسى المعمور سعة وانفساحا وهدوءا. رأيت ما يوجب البهت ويبلد الفكر جفاء وضخامة ومنعة وحصانة، استفتح ايده الله بالاول منهما بالمسى حصن الفتح، كتاب اعماله البرية لاول خلافته السعدية، فتم لسنين منها ثم عززه بالثاني الذى ناهز اليوم التمام منه ويقول بعده الفشتالي : فجاء عديم النظير، اطبق اهل المعرفة ببنـاء الحصون من العرب والعجم وارباب الجولة من اهل الملتين، انه ما روئى مثلهمـا وهذا يدل دلالة واضحة على ان العرائش كانت لها اهمية كبيرة في نفوس ملوك المغرب، وقيمة دفاعية استحقت ان تحرز بها على عناية المنصور السعدي ومن اتى بعده من اولاده، فالمنصور السعدى ادرك استئثار نتيجة العرائش وبنى بها الحصنين وملاهما عدة وعددا، وجعل من هذا الثغر المهم مركزا حربيا يستحق كل عناية واهتمام وذلك لاعتبارات كثيرة منها انه حين ما انصرف رحمه الله من المعركة الكبرى توجهت همته للغزو والفتوح وفتح خزائنه لبناء السفن واعداد الاسطوال المغربى اعدادا يمكنه من تحقيق الاهداف المطلوبة في توطيد أسس العظمة

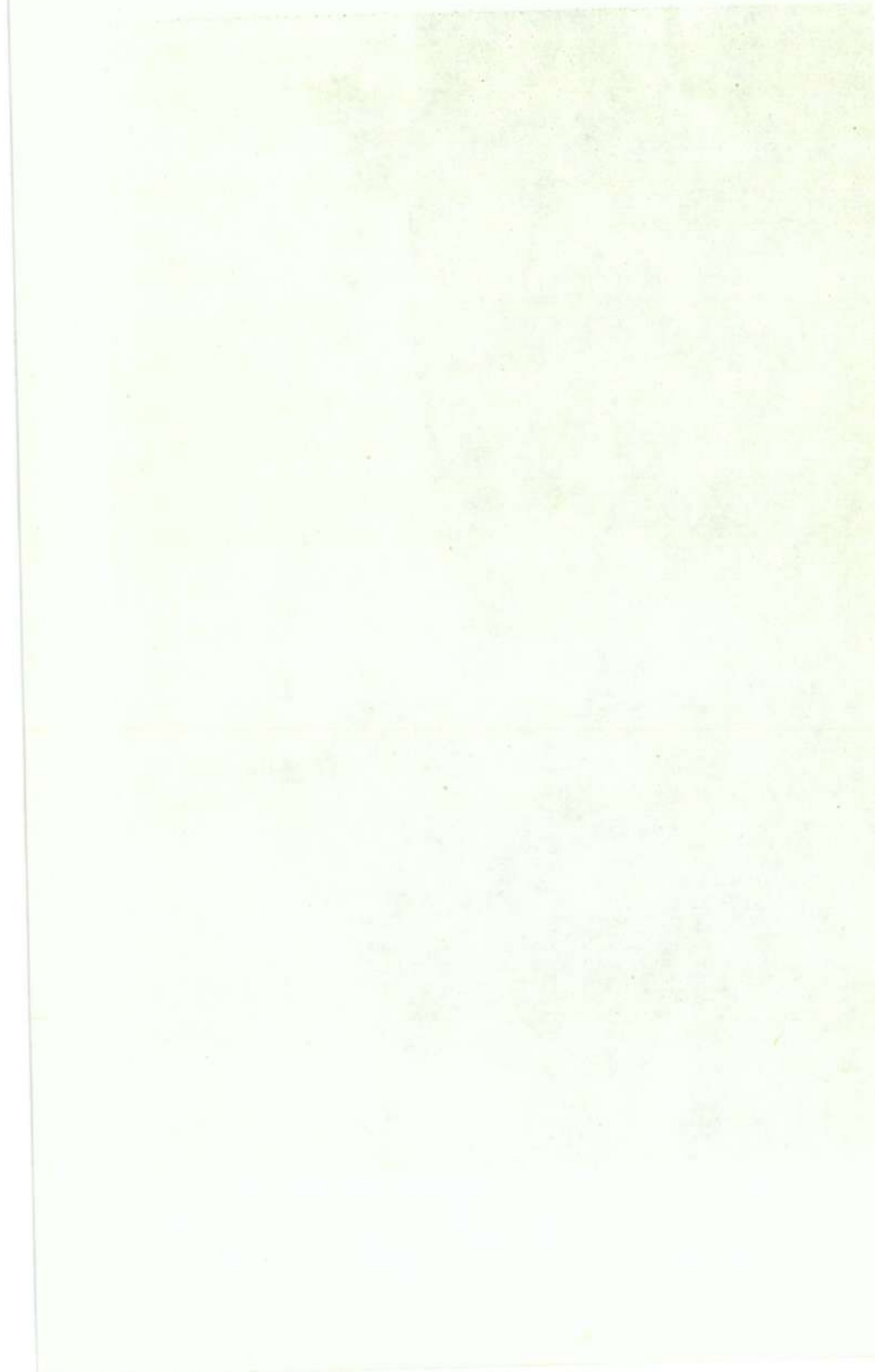

والمجد، فحشر بمدينة سلا أشهر الصناع والمهرة في صنع السفن الحربية حتى توفر لديه العدد العديد، وكان من الاوفق ان تختار لهذه السفن مراكز ذات اهمية بالنسبه للصالح العام، فاختار ثغر العرائش وجمع الاسطول بها وعقد الرئاسة عليه لبطل انتقاه من خيرة البحارة وامره بالاقامة بباب البحر من هذه المدينة وساق المؤرخ الفشتالى ظهير تعيين القائد المولى على الاسطول المركز بثغر العرائش، وكان الظهير من انشاء الاديب الكاتب ابى عبد الله محمد بن احمد بنعيسى المتوفى في السجن سنة 990 هـ وهذه بعض فقرات الظهير امر به عبد الله تعالى امير المومنين ابو العباس احمد المنصور بن امير المومنين ايد الله تعالى امره واعز نصره، للرئيس الامجد الاوجه الاسعد ابى سالم ابراهيم الشاط، ولما كان ممن عملت كفايته واحاطت بتصاريف ذى الالواح والدسر درايته واشتهرت في الجهاد عنايته واربت في البر والبحر على الغايات غايته، راي ايده الله ان تقلده قيادة الاسطول ويقضى به لوظيفته الجهادية حظه الممطول، ويسند اليه رئاسة القطائع والشوانى الى ان قال : فقدمه أعلى الله قدمه وعرفه الخير والبركة في كل ما توجه اليه عزمه ويممه، قائدا على العمارة البحرية والقطائع الجهادية، فليتقدم لذلك بما لديه من الجد والمضاء والكفاية التى يستمد منها الصارم المنتضى عاملا بما يقضى له من الله الثواب، ومنا مزيد العز والرضى، واننا نسأل الله له توفيق الاعمال والبلوغ في هذا القصد الى اقصى مراتب الكمال بمنه وكرمه، فمن وقف عليه فليعمل به ولا يتعداه والسلام.

وذكر المؤرخون ان هده التولية كانت استبدالا لرئيس عظيم اجنبى عن المغرب وهو القائد شعبان، برجل مغربى لا يقل شجاعة واقداما عن خلفه وهو السيد ابراهيم الشاط، وهذا يدل على مبلغ الاهمية الاستراتيجية التى كان ثغر العرائش يتميز بها، ولعل المتمعنين فيما تخلل عهد الاشراف السعديين من وقائع واحداث وخصوصا بعد معركة وادى المخازن والطابع الجدى الذى طبعت به سيرة بطل هذه الدولة يدرك بالضرورة ان عهده كان بداية عهد جديد بالنسبة للاطماع

الاجنبية التى جشعت على احتلال المغرب، فكان الاروبيون قد اكتسحوا شواطئ المغرب من قبل وخبروا ارضه فتكالبوا على ثرواته وخيراته وازدادوا طمعا وشرها عليه، الامر الذى جعل بطل معركة وادى المخازن احمد المنصور يعطى لثغر العرائش وغيره من الثغور ما تستحق من عناية واهتمام، ولاهمية موقع ميناء العرائش وقربه من شواطئ اروبا، جعله نقطة الوصل ومركزا للانطلاق الى ربط العلاقات بين المغرب وخارجه، وهمزة الوصل بينه وبين غيره الى ان توفى المنصور رحمه الله، وصار الامر من بعده الى ابنائه الذين اصيبوا في اول وهلة من موت ابيهم بمرض التنافر والتباغض الذى دب الى نفوسهم فأعلنوا الحرب وجاهروا بالشقاق، فطالت الفتنة بينهم واستمروا في القتال حتى قيل ان السلطان زيدان قضى في السلطنة ما يزيد على خمسة وعشرين سنة لم تخل واحدة منها من الحرب مع اخوته واقاربه الخارجين عليه، فاختل بسبب الخلاف امر المغرب اختلالا خطيرا حتى بدأت بعدها الدسائس الانجليزية والبرتغالية والاسبانية تلعب دورها، وتحركت حركة الغزو لشواطئ المغرب من جديد فاحتلت العرائش والمهدية وطنجة من جديد، كما سيأتى تفصيله، وكانت العرائش جوهرة ثمينة في عين الاسبان، استرخصوا فيها للشيخ المامون ما طلب منهم لينتصر على اخيه زيدان، وكانت هى ملجأ الشيخ المامون عند انهزامه امام اخيه زيدان، ومنها ركب الى ملك اسبانيا فارا بنفسه واهله، وبعبارة واضحة كان الثلث الاول من القرن الحادى عشر للهجرة الموافق للربع الاول من القرن السابع عشر للميلاد، مسرحا للفوضى والاضطراب، اذ بايع اهل فاس الولى زيدان، وبايع اهل مراكش ابا فارس، واستبد الشيخ المامون على ابى فارس بعد انتصاره على زيدان فى بعض المعارك، وكان للمغرب ملوك ثلاثة فى آن واحد من ابناء المنصور السعدى دفع حب الرئاسة ببعضهم الى تسليم العرائش للاسبان على يد الشيخ المامون.

تسليم العرائش للاسبانيين

ذكر اليفرانى فى نزهة الحادى ان الشيخ بن المنصور لما استقر فى فج الفرس وهو موضع قرب طنجة وطال هناك مقامه انتقل الى مدينة القصر الكبير وراود قواده ورؤساء جيوشه على ان يقفوا معه فى تمكين الاسبانيين من العرائش ليوفوا له بما وعدوه به من النصرة بالمال والرجال فامتنع الناس من اسعافه على ذلك ولم يوافقه على تسليمها الا قائده الكرفى فبعثه الشيخ لها وامره ان يخليها من السكان المسلمين ولا يدع بها احدا منهم. فذهب الكرفي وكلم اهلها فى الخروج منها فامتنعوا من الجلاء عنها، فقتل منهم جماعة وخرج الباقون تخفق على رؤوسهم الوية الذل والصغار باكين متضرعين، ولما خرج منها المسلمون اقام بها القائد الكرفى الى ان احتلها النصارى وذلك فى رابع رمضان من عام 1019 موافق 20 يونيه سنة 1610 ميلادية. فى عهد فيلب الثالث على يد القائد الاسباني المركيس ديلا اينوخوسا وبقى بها الاسبانيون الى سنة واحد ومائة والف هجرية وهى السنة التى كان فيها فتح مدينة العرائش على يد بطل الدولة العلوية المولى اسماعيل على ما سياتي قال بعض مؤرخ الاسبان ان وجودهم بها يعتبر من تاريخ هذا الاحتلال وانهم تركوا فيها بعض الاسوار قال منويل المؤرخ الاسبانى : ان الاسبانيين الذين احتلوا العرائش فى هذا العهد كان عددهم ثلاثة الف رجل وقد ذهبو اليها بحرا فى تسعة مراكب عام 1610 موافق عام 1019. وكان العامل على فاس من قبل الشيخ اذ ذاك القائد حمو بودبيرة، وكان من خواصه، فسلم له فيما بعد مدينة تطوان حين دخلها الشيخ، ومن اخبار هذا القائد انه لما قام الشيخ مولاى احمد بن ادريس يدور على مجالس العلم بالقرويين وينادى بالجهاد والخروج لاغاثة المسلمين بالعرائش انضاف اليه اقوام وعزموا على الخروج فت فى عضدهم القائد حمو بودبيرة، اما ملك اسبانيا فأبى اولا ان يمد

الشيخ بما طلب منه فراوده على ان يترك عنده اولاده وحشمه رهنا ويعينه بالمال والرجال حتى اذا ملك امره بذل له ما شاطره عليه، ولم يزل به الى ان شرط عليه تسليم العرائش له واخلاءها من المسلمين وفى كتاب تاريخ الدولة السعدية ما نصه : واما المولى الشيخ فانه لما استقر عند النصارى ولقيه قوادهم وعقد الكلام معهم على بيع العرائش، واعطى الرهن في ذلك اربعة من اولاده، ثم رجع الى المغرب لينفذ الخطة، فكان ما اراده الله، قال صاحب المرآة : ولما هزمت الدولة بفاس وكثر الاختلاف بين اعقاب السلطان وتوالت الهزائم والغنائم، وعتت القبائل وجرى بسبب ذلك ما جرى فى العادة مثله استدعى الشيخ لذلك كثيرا من اهل النزاهة الى الدخول فيما لا يرضونه وارتكاب ما يتنزهون عنه، ومن اشنع ما وقع ان السلطان تكلم مع النصارى فى تمكينهم من مدينة العرائش لاغراض فاسدة وموه على الناس بأعذار واهية، وبعث من يعرض ذلك على العلماء ويأخذ موافقتهم ليدفع اللوم عن نفسه، ومن الاعذار التى موه بها بقاء ابناء المسلمين احفاد الرسول صلى الله عليه وسلم في يد الكفار الى غير ذلك من الاعذار، فمنهم من لم يجد مندوحة، ومنهم من عصمه الله بالورع كالشيخ العربى الفاسى واخيه احمد اللذين خرجا من فاس فاريين بأنفسهما قبل وصول المفاوضات وغابا عن فاس فما رجعا الا بعد انتهاء الامر، ومنهم من عارض فى تسليم العرائش كالشيخ سيدى محمد بن على الاغصاوى الذى قتل صبرا بفاس عام 1017 هجرية، اما عموم المغاربة فاستنكروا تسليم ثغر العرائش لنصارى ولبسوا الاحذية السوداء حدادا على ضياع هذا الثغر، وبقى الناس فى حزنهم الى ان استرجعه المولى اسماعيل العلوى ونهى عن لباس الاحذية السوداء وامر بلبس الاحذية الصفراء بدلها وهى البلغة، وبعد استلاء الاسبانيين على العرائش فى التاريخ المذكور، اتخذ الشيخ المامون مدينة القصر الكبير مركزا للدفاع وندب اهل القصر الكبير والناحية الى حمل السلاح معه ومساعدته على غلبة خصومه. فأعرض الناس عنه ورفضوا طلبه واتخذ لتبرير جريمته جميع الوسائل فلم يغنه عن فعلته المنكرة شيئا تجاه المغاربة الذين كرهوه ونفضوا ايديهم

منه، فانتقل عن بلاد القصر الكبير الى بلاد الفحص واستولى على تطوان وطرد عنها حاكمها أبا العباس احمد النقسيس وولى عليها عامله حمو بودبيرة كما سبقت الاشارة اليه، ولكن هذا لم يكفه ولم يحجبه عن الاعين التي تزدريه وتتابعه لتأخذ منه الثار ولتمحى بقتله بعض العار، فما لبث ان قتل خارج تطوان، قتله اشياخ الفحص لشدة بغضهم له، فقتل وانتهب ماله وكان شيئا كثيرا من جملته نحو مد من الياقوت، وبقى من اثاثه بعد قتله بطنجة نحو وسق سفينة استولى عليها نصارى البرتغال بعد موته وبدأ احتلال الثغور المغربية من جديد بسبب ما حصل بين ابناء المنصور رحمه الله فالاسبانيون لما استولوا فى هذه المدة على العرائش طمحة نفوسهم الى الاستلاء على غيرها وتعزيزها باختها فرأوا ان المهدية اقرب اليها فبعثا اليها فيليبس الثالث من جزيرة قادس تسعين مركبا حربية فانتهوا اليها واستولوا عليها من غير قتال وذلك في اواخر جمادى الثانية سنة ثلاث وعشرين والف هجرية وفي هاته الفترة ظهر ابو محلى وثار على السعديين ثم كان ظهور الدلائيين وغيرهم ممن طمعوا في ملك المغرب وحكمه.

معارك ابى عبد اللـه العياشى

وعلى اثر هذه النكبة قيض الله لثغور الاسلام مجاهدا عظيما وبطلا من ابطال الاسلام الذين باعوا انفسهم لله ولرسوله وللمومنين، ذلك هو الزعيم الذى قيل فى شأنه : «حلف الزمن ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر» وذلك هو الولى الشهير المجاهد الكبير ابو عبد الله محمد بن احمد المالكى الزياني المعروف بالعياشي صاحب مدينة سلا الذى اجتمعت الامة المغربية على محبته، كان رحمه الله من ابطال المجاهدين قاتل برتغال الجديدة وضيق عليهم وفى سلا اجتمع عليه كثير من الناس وقدموه على انفسهم وبايعوه على الجهاد والتزموا نصرته عام ثلاث وعشرين والف هجرية فقاتل الاجانب الذين كانوا قد احتلوا بعض نواحى المغرب، فأوقع بنصارى المعمورة والعرائش ودخل فى طاعته جل البلاد المغربية، وفى مقدمتها فاس وتطوان ولعزمه على تطهير شواطئ المغرب من الاحتلال الاسباني عقد معاهدة مع بريطانيا وطلب منها الف مدفع لاحتلال المعمورة والعرائش او اي مكان احتله الاسبان من شواطئ المغرب، يقول هذا سفير بريطانيا الذي زار المغرب فى ذلك الوقت وتفاوض مع المجاهد العياشي وارسل بذلك الى ملك بريطانيا وقضى ابو عبد الله العياشى رحمه الله ايامه كلها فى الدفاع عن شواطئ المغرب، الى ان حصلت خلافات بينه وبين الدلائيين ادت الى قتله على يد جماعة من الاعراب الخلط كما تقدم ذكره غدروا به فقتلوه واحتزوا رأسه عام واحد وخمسين والف هجرية. وكان ظهور العياشي على ما ذكره سيدى عبد الرحمن الفاسي فى زهرة الشماريخ مؤرخا لظهوره واستشهاده حيث قال :

وبـعـد لام ظـهـر العياشـي شيـئـا فشيـئـا ثـم مـات نـاش

اما الامام الشهير سيدى عبد الواحد بن عاشر فقد مدحه بقصيدة

طويلة منها :

يا حدى الاضعان في الرياشى ... أبلغ سلامى فخرنا العياشى
من فضله بدر ونور قد غدا ... تغدو به الركبان والمواشي
لله سيف صارم وقاصم ... ظهر العدا كبيرهم والناشى
تهنيكم حياتكم يا مسلمين ... ما دام فيكم سيدى العياشى

وهذه هى نظرة المغاربة الى البطل العياشى في ذلك الوقت، ولا زال صدى كفاحه يتوج راس المغرب ويهز بعظمته وجهاده الاسلام والمسلمين. وقد تأسف على موته المسلمون في مشارق الارض ومغاربها، حتى رمز بعضهم لموته بـ «مات زرب الاسلام»، كما فرح المشركون بفقده لما كان ينزل بهم من ضربات رضى الله عنه وارضاه ثم خلفه في الجهاد المقدم ابو العباس احمد الخضر غيلان الجرفطى، صاحب مدينة اصيلة وكان من اصحاب العياشى ومقدما من قبله على الغزاوات ببلاد الهبط، فلما قتل العياشي استقل الخضر غيلان برئاسة امر الجهاد واستمرت حالته الى سنة 1062، وتبع معاهدة شيخه العياشى فكان البريطانيون يمدونه بكل ما يحتاج اليه طول المدة التى قضاها بأصيلة، ومما يلاحظ على هذا العصر ان شاعت في عهد السعديين ثلاثة القاب بالمغرب وهى : الشيخ، وهو خاص بالسلطان، ولقب بابا، وهو خاص بكبراء متطوعي المجاهدين.

العرائش على عهد الدولة العلوية

بقيت مدينة العرائش في يد الاسبان مدة من الزمن تقدر باثنين وثمانين (82) سنة، نتيجة تفكك الاحوال وتشتت كلمة المغرب بسبب تطاحن الاخوة من اولاد زيدان ابن المنصور على الملك مع بعضهم من جهة، ومع عبد الله بن الشيخ من جهة اخرى زيادة على اقامة بعض الامارات بالمغرب بدعوى الجهاد، كأبى محلى والدلائيين وغيرهم ثم امارات الشبانات بمراكش، كل هذا والعرائش في عزلة تامة عن المغرب لا يسمح الاسبانيون لاحد بالدخول اليها من المغاربة ولو بقصد الخدمة او التجارة فكان الموالون لهم اذا ارادوا الاتصال بهم ذهبو الى سبتة، الا ما كان معهم من بعض الجواسيس الذين كانوا يستعينون بهم على تحرك المجاهدين، كالجاسوس ابن عبود من عرب اطليق، والذى غدر بهم واوقعهم في كمين نصبه اليهم في غابة العرائش المجاهد ابو عبد الله العياشى الذى قتل من النصارى بسبب غدرهذا الحناش لهم ما يزيد على الف قتيل، قال الناصرى في الاستقصا وقد جرى هذا الغدر سنة اربعين والف، للهجرة ومرت هده الحقبة من الزمن والمغرب يتخبط في اهواله وفتنه منهوك القوى بسبب الحروب الداخلية والخارجية الى ان هيأ الله له من جمع شتاته ورفع راسه واخذ بيده الى اسباب العز والكرامة بظهور الدولة العلوية الشريفة تحت شعار: الجهاد والموت في سبيل الاسلام، فقد انصرف ملوكها الاولون رحمهم الله الى تثبيت حبل الامن والقضاء على اوكار التفرقة والانخذال في جميع انحاء المغرب، فهيأ الله لهم النصر والتأييد وتوطدت لهم الرئاسة في كل اجزاء المغرب حتى دوخوا سهوله وجباله، فانصرفوا الى اداء المهمة التى اناطها الله بهم من تحرير شواطئ المغرب من الدخيل الاجنبى، وفي سبيل ذلك، نجد الشيخ ابا على اليوسى يكتب رسالة الى المولى رشيد العلوي يقول فيها : فعلى سيدنا ان يتفقد

السواحل كلها من قاعية الى درعة ماسة وبحرض على الجهاد وعلى حراسة الشواطئ المغربية ولا يولى فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على اريكته، ولم يقع تحرير الشواطئ ايام المولى الرشيد اذ كان رحمه الله مشغولا بجمع كلمة المغرب والقضاء على اوكار التفرقة، فبقى الامر على حالته الى ان انتقل الامر الى بطل هذه الدولة ابى النصر المولى اسماعيل الذى طهر الشواطئ من كل دخيل، واعاد للمغرب هيبته وعظمته، وبنى للمجد اسسه وقواعده.

فتح العرائش وما بعده

ففى آخر شهر شوال سنة مائة والف ارسل المولى اسماعيل قائده المظفر، ابا العباس احمد بن حدو البطيوى في جماعة من المجاهدين لحصار العرائش، فحاصرها القائد احمد مدة من ثلاثة اشهر ونصف شهر قاله في النزهة، وقال الناصرى ان القاضى ابا القاسم العميرى حكى في فهرسته ان نصارى العرائش ادعوا ان الفتح المذكور كان صلحا وتأمينا لا عنوة ثم لما طال النزاع في ذلك امر السلطان قاضى حضرته المكناسية ابا عبد الله المعروف بأبى مدين ببيان حكم الشريعة المحمدية فى ذلك فأجاب جوابا طويلا حرر فيه حكم الشريعة بما لا غاية فوقه وكان الحكم بالاسر، فأمر السلطان بأشخاص اولائك النصارى الى مكناس وكانوا الفا وثمانمائة على ما فى البستان فكان يستخدمهم مع المساجين والاسرى فى بناء قصوره بالنهار ويبيتون ليلا فى الدهليز.

وقد اجمع المؤرخون على ان فتح العرائش كان عنوة، قال صاحب النزهه : فتحها المسلمون بعد معاناة شديدة وذلك انهم حفروا المينات تحت سورها الموالى للمرسى وملأوها بارودا ثم اوقدوها بالنار فنفطت وسقط جانب من السور فاقتحم المسلمون منه وتسلقوا الى النصارى على الاسوار فوقعت ملحمة عظيمة هلك فيها عدد من النصارى وفر باقيهم الى حصن القبيبات الذي بناه المنصور السعدى واعتصموا به يوما وليلة، فخامر الجزع قلوبهم فطلبوا الامن فأمنهم القائد ابو العباس المذكور على حكم السلطان فنزلوا عليه فأخذ الاسرى بأجمعهم ولم يعتق منهم الا اميرهم وحده. وتم الفتح وذلك بسبب الحفر المذكور سابقا ثم ارسلوا فيها النيران حتى تصدعت اسوارها يوم الاربعاء الثامن عشر من المحرم سنة احدى ومائة والف هجرية، ومثل هذا قول القادرى فى نشر المثانى قال انزل السلطان عليها الجيوش وحاصروها ثم امر

بارسال البارود تحت اسوارها نفتحها عنوة وغنم ما فيها من النصارى والعتاد وكان عددهم الفا وسبعمائة ومن على اميرهم بالعتق ثم جبئ بالباقى اسارى، اما ما ذكره صاحب الجيش من ان نصارى العرائش اعتصموا بحصن القبيبات سنة كاملة، قال الناصرى خطأ لا يعود عليه، ومن الدلائل الواضحة على فتح العرائش كان عنوة وبقول هو ما نظمه الفقيه الاديب الشاعر ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد بن على الرافعى الاندلسى التطوانى فقد نظم قصائد كثيرة فى فتح العرائش، منها قصيدته التاريخية التى نظمها بمناسبة خروج غزاة تطوان ونواحيها الى فتح مدينة العرائش واسترجاعها من يد الاسبانيين الذين قبضوا على هذا الثغر بيد من حديد وظنوا انهم قادرون على البقاء به حتى اتاهم امر الله ليلا ونهارا واهلكهم على يد المجاهدين الابرار.

وكان بدء العمل في الفتح العظيم بأن تدفقت جموع الغزاة والمجاهدين المكونة من الجيوش ومن احواز العرائش ومن تطوان ونواحيها على ثغر العرائش فانتصروا على من كان به من الاجانب واحتلوا المدينة واسروا جنودها واستولوا على مدافعها سنة احدى ومائة والف، يقول الرافعى متحدثا عن الغزاة المجاهدين الهاجمين على الاجانب المحتلين للعرائش فى قصيدة منها قوله :

وداروا عليهم بجيشهم ... كمثل السوارى لهم منذرين
وانقاضهم شبروا جملة ... لهدم البلاد وقتل البنين
بدار العرائش قد احدقوا ... وخدوا اخاديدها معلنين
وشبوا لها النار فى قعرها ... فكانت وبالا على المجرمين
ومالت عليهم اسود الوغى ... فغاروا وحلوا بها مسرعين

الى ان قال :

وامسى الغزاة ببلدتهم ... فنعم العرائش للمومنين
فنل بها الشرك واندرست ... كنائس كن مأوى المشركين

ومن فتح العرائش صار الجيش الى حصار سبتة والى هذه الاعمال الجليلة يشير الرافعي فى قصيدة اخرى يمدح فيها جيوش المسلمين

منها قوله :

وسل عنهم اهل معمورة ... وسل عنهم طنجة يا بصيرا
وحصن العرائش سل عنهم ... يفدك مقالا صريحا لا زورا
والان الى سبتة سارعوا ... لهم رغبة فيها كانت دهورا
وجاشوا جيوشا وخطوا حفيرا ... والقوا كمائن فى خفية

وفى زهر البستان لابن العياشى بعد ان تكلم على فتح طنجة ما نصه ثم بعد مضى خمس سنين من فتح هذا الثغر اعنى طنجة اذن المولى اسماعيل المنصور بالله للقائد على بن عبد الله فى حصار ثغر العرائش ومنازلته، وذلك آخر مائة والف، فتقدم اليه ممتثلا الامر ونزل عليها بعدوتي الوادى المنصب الى البحر من الناحية الشرقية، فضيق عليها برا وبحرا وقطع عنها جميع المواد التى كانت تأتيها سرا وجهرا، الى ان فتحها باستعمال الميتات واستشهد من المسلمين ما يزيد على الف مجاهد، وقتل بها من النصارى اثنتا عشرة مائة واسر منهم الفان، ووجد فيها من البارود والعدة ما لا يحصى ومن الانفاض مائة وثلاثون مدفعا كان احدهما يسمى بالغصاب طوله خمس وثلاثون قدما ووزن كورته خمسة وثلاثون رطلا وحصل للمسلمين بفتحها انشراح ومسرة، وللكفار ندامة وحسرة، ودخل الرعب قلب العدو برا وبحرا بدخول المسلمين لها بالقوة والقهر، ويلاحظ ان هذه الروية ذكرت ان المرسل الى فتح العرائش هو القائد على بن عبد الله ومثله فى البستان، وفى كناش ابن رحمون ان على بن عبد الله كان قائدا على تطوان وفى الروضة السليمانية والاستقصا ان الذى توجه لفتح العرائش هو القائد احمد البطيوى، ولا منافاة بين الروايات، فكلا الرجلين قائد مجاهد، والمولى اسماعيل كان يرسل جميع مجاهدى هذه الناحية لفتح احدى المدن المحتلة بالاجانب، فاذا ما تم الفتح ارسلهم لناحية اخرى، وهكذا استرجعوا ما قدروا عليه ولم يبق عليهم الا مدينتا سبتة ومليلية اللتان لا تزالان بيد الاجانب الى تاريخنا هذا، عجل الله يضمهما الى باقى اجزاء الوطن المغربى العزيز، قاله شيخنا السيد محمد داوود فى تاريخ تطوان ثم ذكر

فى الاستقصا' ان المولى اسماعيل اراد ان يجعل من هذا الثغر الهام مركزا قارا لكل من اراد الاقامة به من المرابطين به ؛ جيشا كان او غيره وينقله من وضعيته الدفاعية المحضة الى وضعية التحضر والتمدن، فأسكن رحمه الله به اهل الريف وامر قائدهم ان يبنى بثغر العرائش مسجدين وحماما ويبنى داره بقلعتها لسكناه، فسكنها اهل الريف ومن اراد من المرابطين. فكانت العرائش من هذا التاريخ كمدينة جديدة اسست على ساحل الاطلنطيكى، وقد عم الفرح سائر بلاد المغرب بارجاع العرائش الى حضيرة المغرب، وما شاع خبر اقتحام المسلمين لها وازالة كابوس الكفر عنها حتى فاضت قرائح الشعراء والمنشدين بذكر النصر المبين، وتحركت اقلام الكتاب بالتنويه بجيش ابى النصر المولى اسماعيل العظيم، وقد قيلت قصائد عديدة فى ذلك نقتصر على البعض منها، فقد نظم الاديب ابو المحاسن يوسف بن محمد الشدورى التطوانى قصيدة فريدة من نوعها، استوعب فيها رحمه الله ما جرى وما كان فى فتح مدينة العرائش، فبين عملية الغزو اليها ووصف المعارك الطاحنة التى وقعت بين المجاهدين والاسبانيين الى النصر، وتكلم عن الدخائر التى غنمها المسلمون وهى طويلة تحتوى على مائة وسبعين بيتا، اسماها «ورد الشهى العاطش، وصولة الاسلام فى العرائش»، الدى قال فيها بعد ابيات فى الحمدلة والصلاة :

وبعد فالقصد بذا النظم المفيد ... فتح العرائش لمولانا السعيد
ابى الفدا الليث الهزبر المرتضى ... سل على الكفار سيفا منتضى

الى ان قال :

وفتح العرائش الممتنعة ... وفى فضى الجو غدت مرتفعة
فخذ حديث فتحها تذكره ... ولا تبال بالذى ينكره

وكان المولى اسماعيل فى بادىء الامر، قد خير نصارى العرائش بين الرحيل عنها او الحرب، فاختاروا الحرب مغترين بتحصيناتهم وعددهم وعدتهم فكانت المعارك الحاسمة فقال الناظم فى ذلك :

قد كتب السلطان للروم كتاب ... الهمه الله به فصل الخطاب

خيرهم بين الرحيل والجلا او الاقامة على شفر البلا

ثم اشار الناظم الشدورى الى محاولة فتح العرائش من طرف الابطال المغاربة قبل مجيئ صاحبها وقائد تحريرها المولى اسماعيل فقال :

كم حاولوا ان يفتحوا العرائشا والله يوتى فضله لمن يشا
فقال من بعزمه قدنا لها فخر سلاطين الورى قدنا لها

ثم بين ان المجاهدين ذهبوا فى فتحها على عادة السنة التى كان جيش الاسلام يسير عليها من تكبير وتهليل على الربى والهضاب فقال :

وأشرفوا على الربا وكبروا واستعملوا السنة فيما دبروا
والفال يقضى حيث جاء الاثر قد خربت قال الرسول خيبر

واشار الى عملية الحصار على مدينة العرائش حيث انقسم الجيش الى قسمين قسم نزل بأرض الساحل مقابل المرسى وقسم نزل على سور البلاد فقال :

مقابل المرسى لمنع الداخل وحل نصف الجيش ارض الساحل
ونصفه حل على سور البلاد طوقها بأسرها طوق القلاد

وكان النصارى قد اوقفوا مراكب بالمرسى استعدادا للطوارئ، قد ربطوا بعضها ببعض وارسوها هناك وعلى مقربة منهم، فما كان من هذه المراكب الا قد اصابها التلف على يد المجاهدين، بعضها قد أغرق وبعضها فر الى بلاد النصارى ليعلم بالامر وليطلب الاغاثة فجاؤوا على الفور بمراكب عديدة محملة بالعدد والعدة الى ان دخلوا المرسى فلم ينفعهم ذلك ولم يغنهم عن استسلامهم فى شئ، فيقول الشدورى فى ذلك :

وكانة بالمرسى مراكب لهم موتوقة دارت بها حبالهم
فطارت الكور عليها والرصاص هيهات يرجى بعد هذا من خلاص

فبعضها اضحت لهم مفرقة ... وبعضها لجبنها منحرقة
يا ويلهم قالوا لدى الخطب العظيم ... ان لم تداركنا فذا الويل مقيم
دارت علينا بالسيوف المسلمة ... امامهم جنودنا منهزمة
كأنهم فرسانهم عقبان ... فى كل فج عندهم قد باذوا
أين المفر منهم والملتجى ... ما فى العرائش لنا من مرتجى

ثم قال يبين الهزيمة التى لحقت نصارى العرائش حتى انهم لم ينتفعوا بعتادهم الحربى الذى جمعوه، ولا بالاعانة التى ارسلت اليهم، فوقفت بعيدة عنهم بسبب ضربات المجاهدين ولم تفكهم من الحصر الذى وقعوا فيه فقال :

وذهبوا فى كل فج يجرون ... وحاولوا جيشا عظيما يجمعون
وعمروا المراكب العديدة ... من عدد وعدد مفيدة
جاؤوا وهم فى بحرهم يستبقون ... اولهم وبعضهم ملتحقون
حلوا حمى المرسى على شر مقام ... ولم ينالوا أملا ولا مرام

ثم يخبرنا الناظم ان النصارى لما يئسوا من الانفراج رصدوا ظلمة الليل فاقتحموا الوادي محاولين النصر لجيشهم فأنزلوا الجيش كله للقتال والتحمت المعركة بينهم وبين المسلمين وحمى الوطيس فهلك من هلك منهم ونجا من نجا، قال رحمه الله :

لكنهم مع الاياس طمعوا ... ان ينزلوا الجيش الذى قد جمعوا
وكل ما قد حصلوا من عدد ... منوع الجنس كثيرا والعدد
فرصدوا الوقت اذا جن الحلك ... اقتحموا الودى وجلهم هلك
وخاطروا فى نيل ذاك بالنفوس ... ولانتصار جيشهم باعوا الرؤوس
ولم يزالوا هكذا الى الصباح ... وطائر العمر لديهم مستباح
فبعضهم ينجو وفاز بالحياة ... وبعضهم اودى الى الخزى ومات

اما المسلمون المجاهدون فانهم صمدوا وصبروا حتى قيض الله لهم النصر بالفتح المبين، وكانوا قد حصنوا انفسهم بحفر الاشبار فلزموا اشبارهم رغم ما قاسوه من اهوال ومحن على يد الكفار الذين اعتلوا

الاسوار وبيدهم من الحديد والرصاص والنار والمهاريز ما كانوا يصبون بها على المجاهدين الصابرين الذين ثبت الله اقدامهم فلم يفارقوا اشبارهم ولم يولوا الادبار وصبروا على كل هول لا محالة زائل، فقال :

والمسلمون لزموا الاشبارا ... ووهبوا الانفسى والاعمار
والشهداء منهم قد صدقوا ... وعاينوا مسيرهم وحققوا
فهكذا الخبر عن هاذى الجهة ... والعدوة الاخرى لها مشتبهة
جاءت جيوش المسلمين ودنوا ... وقرب سور العرائش بنوا
وقطعوا الاعواد ثم حفروا ... وحصنوا اشبارهم وظفروا
والكافرون فى علا الاسوار ... يرمون بالانفاض والاحجار

وبالحديد والرصاص والخشب ... ويوقدن النار فيها بالعشب
ونصبوا المهراز برمى المحرقة ... تصعد فى الجو وتاتى مطرقة
وثبت الله الذين آمنوا ... ورسخت اقدامهم ما وهنوا
فكم صريع قد قضى منهم طريح ... وكم وجيه قد غدا منهم جريح
قد صبروا لكل هول هائل ... وايقنوا عما قليل زائل
وكل شئ ينتهى لحده ... وكل خير عندنا من عنده

ويحكى الشدورى قصة حفر المينة فى اسوار مدينة العرائش بعد ان اعيت الحيل فى فتحها وسببها انه كان للمولى اسماعيل اسارى فيهم من يتقن علم الحكمة والنجوم والمراد بها علم الطبيعة : الكيميا والفيزيا، فواعدهم السلطان بالسراح والعتق ان هم دبروا فى الحيلة التى تسهل فتح المدينة فجاؤوا الى اسوار المدينة فكانت النتيجة هو تحطيم بعض الاسوار فدخل منها المجاهدون، قال فى ذلك :

فكان للمولى اسرى حكما ... قد احكموا فلسفة وانجما
واعدهم فضلا بعتق وسراح ... ان ناصحوا بالفعل والجد الصراح
جاؤوا بعزم واجتهاد نظروا ... سور العرائش بها واختبروا
ودبروا الحيلة فى حفر المينة ... لم يبقى للاعداء معها مأمنة
وحفروا من الميفات عددا ... معدة للكافرين رصدا

فقامت الاولى ببارود قليل واهلك الله بها كم من قتيل
بعد ثلاث قد انتها فى الاثر ثانية اربت على من قد غبر

ثم بدأ يصف المعركة الحامية التى جرت وسط المدينة بين المسلمين والكفار الى ان وقعت الهزيمة على الكفار وسارعوا الى تحصين انفسهم بالبستيون وهو حصن القبيبات، فطلبوا بالامان وجنحوا للسلم، فشاور القائد احمد المولى اسماعيل فيما طلبوا فأمنهم السلطان امتثالا لامر الله تعالى، ونزلوا على مأمنه فخرجوا وسيقوا الى الاسر ما عدا القسيس والقائد فقال رحمه الله فى ذلك :

ونهض الجيش بعزم للدخول وكل صادق اللقاء رام الوصول
واشتدت الحرب عليها والقتال والتقت الابطال فيها بالرجال
من الضحى الى الاصيل والغروب كلا الفريقين وما مل الحروب
حتى اذا جن الظلام والغسق والتام الليل وطال واتسق
عاد الى موعده كل فريق وكل غاد منهم نحو طريق
واكرم الله الرجال الشهداء فازوا بما فضلا به قد وعدا
وهلك الكفار تسعون قضت والمهاوى النار والخزى مضت

ويبين الشاعر بعد هذا ان فتح العرائش لم يحصل في معركة واحدة وفى يوم واحد، بل كانت معارك وايام سبق الكلام على اليوم الاول فى المعركة، اما اليوم الثانى فيها فيقول :

والمسلمون نهضوا من حينهم والكافرون بهضوا لحينهم
وصفت الكفار للحرب الصفوف والمسلمون قابلوهم بالسيوف
حتى التقى الجمعان في وسط البلد والتحم الحرب بها والمجتلد
وغضب الكفار ثم حملوا وصبروا في حربهم وقاتلوا
وحمى الوطيس واشتد القتال لم يعهد الناس لذا اليوم مثال
بعد صلاة الظهر كان المبتدأ الى الغروب امره تجددا

ثم اشار الى ما اصاب الكفار من الفزع والهزيمة بعدما عاينوا سوء مصيرهم فقال في ذلك :

لما رأى الكفار من هذا العجب ... وانه الجد ويفضي للعطب
وكل من بقى منهم ملحق ... عما قليل بالذين سبقوا
تسابقوا الى ربى الحصن المنيع ... البستيون المحكم الصنع الرفيع
والمسلمون زاحموهم فى البلد ... وشاركوهم في الحصون والعدد
وملكوا المرسى وطافوا حولها ... وقطعوا للكافرين حبلها

وبعد كلامه رحمه الله على النصر العظيم والفتح المبين، الذى احرز عليه المجاهدون في فتح العرائش، انتقل الناظم يبين الحظة التى اتخذها المولى اسماعيل مع نصارى العرائش لما طلبوا الامان فامتثل فيهم قوله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ».

وجنحوا للسلم ثم اذعنوا ... ووهبوا البلاد لما وهنوا
وسألوا الامن على الرقاب ... وسلموا مفاتيح الابواب

ثم قال رحمه الله : في ذكر اليوم التاريخي الذى وقعت فيه المعركة وهو السابع عشر من شهر المحرم عام 1101.

وكان ذا في يوم سابع عشر ... من المحرم فصدق الخبر
عام شفاك الله مما تتقى ... فاسأله ما ترجو به وحقق

وكلمة (شفاك) رمز للسنة التى حصل فيها فتح العرائش، ثم قال :

فأخرجوا وتركوا العرائشا ... وكلهم مما رآه دهشاء
بين صفوف المسلمين خرجوا ... وفى قياد الاسر حقا ولجوا
عددهم الف وزد سبعمائة ... واثنان مع عشرين منهم فئة

ثم بين المؤلف الحالة التى انتهى اليها حال الاسبانيين الذين استماتوا فى الدفاع ثم غلبوا على امرهم حتى استسلموا تحت الحديد والنار وخرجوا وهم مدحورون اذلة اصابهم الرعب وغمرتهم الدهشة فاحنوا رؤوسهم وسلموا انفسهم للاسر وكان عددهم كما قال رحمه الله الف وسبعمائة واثنان وعشرون اسيرا وبعد هذا شار الى بيان ما تركوه وراءهم من الذخائر التى اصبحت غنيمة فى يد المجاهدين الفاتحين

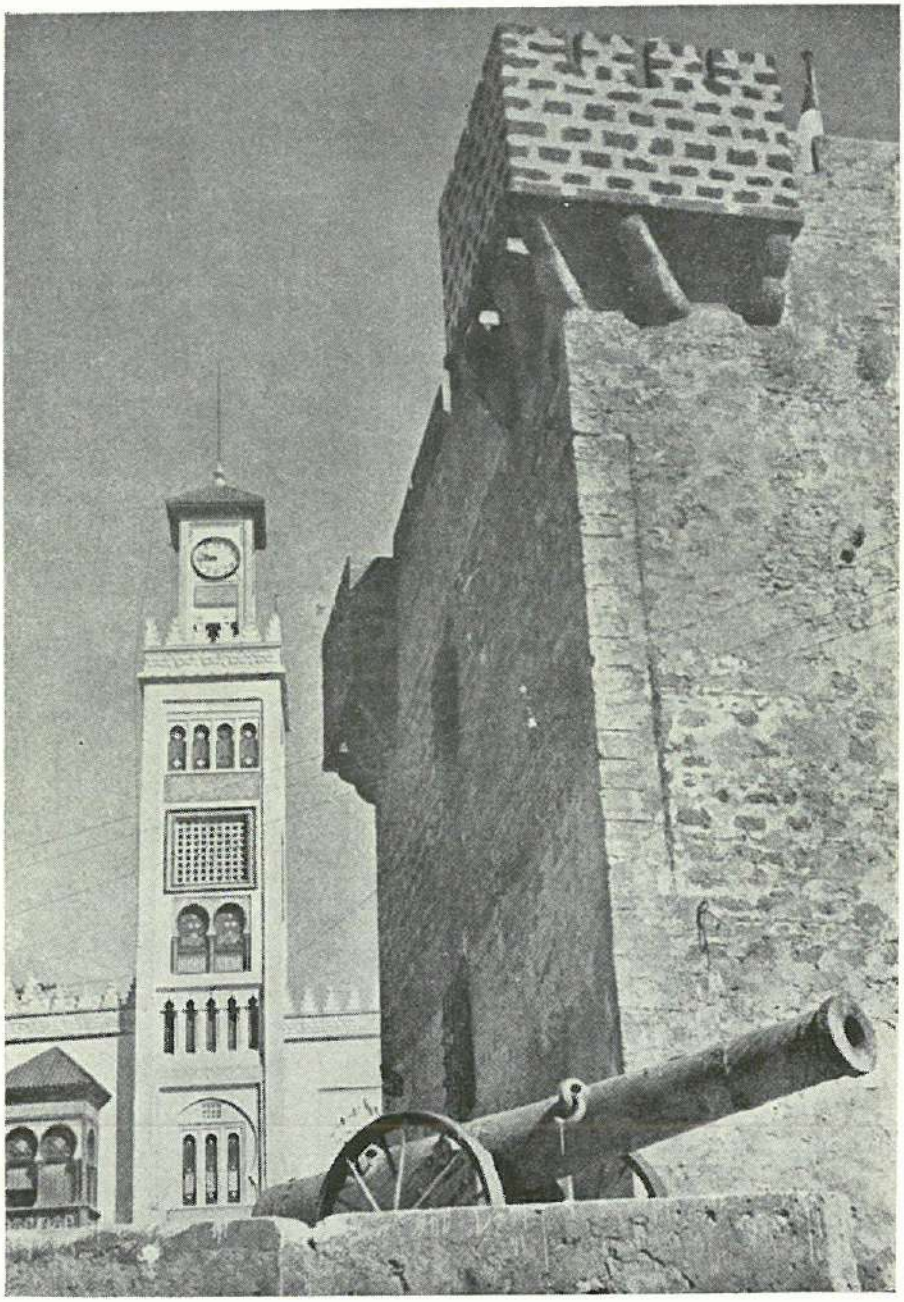

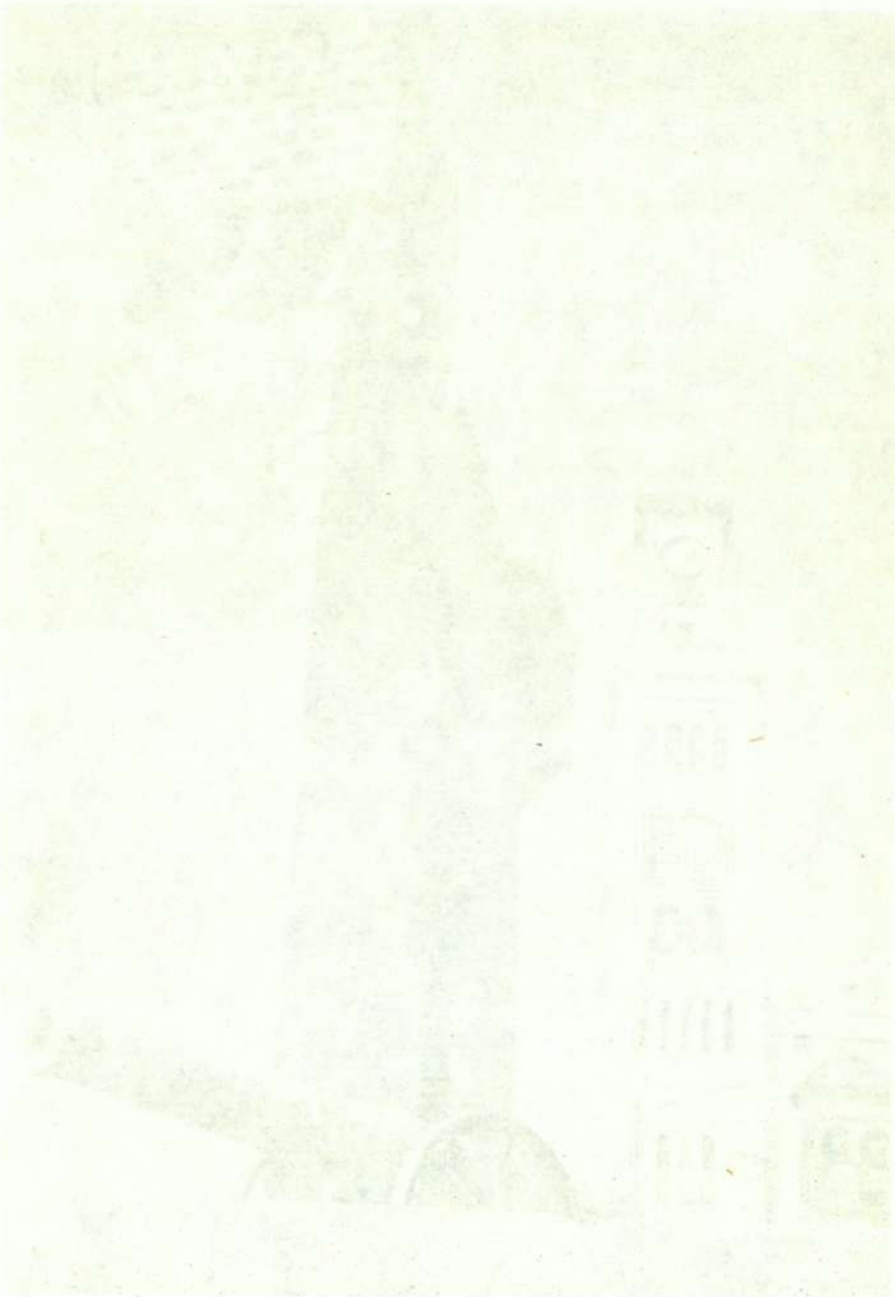

وبعد ذاك وقع الاحصاء لفيئهم والعد والامضاء
فمائة وستة وعشرة انقاضهم وجلها معتبرة
منها عظيم الجرم ميمون الكبير الهائل الصوت وذو الصنع الشهير
وعدت العدة ثم اخرجت وفرحت نفس الورى وابتهجت

وميمون الكبير الذى ذكره المؤلف هو المدفع العظيم الذى كان المولى محمد بن عبد الله قد رده الى العرائش فى وقته وبقي الى ان اخرج من العرائش بعد استقلال المغرب الى جهة اخرى من المغرب وتقول بعض المصادر الاجنبية ان هذا المدفع صنع باشبيلية في عهد فليب الرابع وهو من المدافع الثلاثة الكبيرة التى صنعت هناك وسيق الى العرائش وحيثما غنم في فتح العرائش سماه المغاربة تفألا به ميمونا وهو من جملة من زود به المولى محمد بن عبد الله ثغر العرائش على ما ياتى ذكره من العتاد الحربى، وهذه الارجوزة قد علق عليها بالتقريظ والمدح عده من العلماء الذين عاصروا الشودرى رحمه الله واثنوا عليها بما هي اهل لها من الثناء ومن المعاصرين له العلامة الخير البركة سيدى الحاج على بن محمد بن بركة التطوانى وكتب عليها ما نصه.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله، يقول كاتبه عفا الله عنه علي بن محمد بركة كان الله له فى كل سكون وحركة لما اوقفني المصقع الاريب الجهيذ الاديب الا معى العبقرى ابو المحاسن سيدى يوسف بن محمد الشودرى انجح الله سبحانه مسعاه وكلاه ورعاه على ارجوزته المشتملة على خبر فتح العرائش وما كان بها للمسلمين من اسهم غير طوائش الفيتها خريدة بضة وروضة غضة، وغداة غيداء، وخودا عيناء، قد استأثرت بجميل المآثر، واثارت من موات النفوس الاركزة الدوائر، فنبست حينئذ نبسة دى فهاهه، ونفثت نفثة من انضب العي من فيه مياهه بهذا القريض السمح المهلهل النسج.

احسنت يابا المحاسن بما سنيت من حسناء فاقت ميسها
حكت بها بها من الجير حللا تزرى على حوك الصناع كللا

الى ان قال رحمه الله

وصدعت بخبر الفتح الذى ... صدع قلب كل كافر فر بذى
فتح العرائش الذى قد قوضت ... عرائش الكفر به و تقضت
وانقض ركن الشر من وقعته ... وانفض جمع الروم من نقعته
وفرقت فرق كل من غدا ... معبوده الاصنام منه اذ بدا
طوبى لمن شام لذاك عضبه ... اذ شام برق النصر ينحو صوبه

والقصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما يليق بهذا المختصر

وكذلك كتب عليها الفقيه العلامة ابو اسحاق سيدى ابراهيم بن ابى بكر السوسي ما نصه الحمد لله على نواله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله اطلعني فريد الاما ثبيل النجبا وختام المهرة الادباء، المطرز بلطيف معنى رائق بطون القراطيس والمهارق المحلي عاطل الرسائل بانفس المسائل صاحبنا المرتضى وحسامنا المنتصى سيدى يوسف بن محمد الشودرى خير خدن عرف ودرى كلاء الله فخره ومجده واطلع فى فلك السعادة بدره وسعده على قصيدته الرجزية وفريدته الادبية المعربة عن نصر الله المومنين وهزم الكافرين وغير ذلك من الاخبار التي تشتاق سماعها مسامع الاخيار.

فجل بطرفك كي ترى محاسنها ... ففي عيانك ما يكفيك عن خبرى

فالفيتها وافية بالغرض الذى نسقت له وحاوية لكل معنى سيقت له فايقنت ان منشئها وارد من موارد الادب عذبا غير آسن، وانه فى الصنع الادبي فريد المحاسن فقلت :

ابرزتها من بنات الفكر غانية ... بحسنها عن غواني الحلي والحلل
تروى حديث اسود الدين اذ هجموا ... على ذوى وثن بالبيض والاسل
فانفرقت فرق الصليب من فرق ... وانقد ما مكروا به من الحيل
فاسروا منهم وقتلوا عدادا ... ووجد وا عددا والكفر فى وجل
وكيف لا وامام الدين ناصره ... ابو الفداء وسبط خاتم الرسل
لا زال مرتقيا اوج العلا ملكا ... دولته في العلا فريدة الدول

لا غرو ان شرفت بكم كما شرفت شمس الظهيرة فى عين من الحمل

اما الشيخ الخطيب البليغ اديب فاس ومفتيها ابو محمد عبد الواحد بوعنان فانشد في فتح العرائش قصيدة طويلة فقال :

الا ابشر فهذا الفتح نور بعين الحق قد حرس الثغور
وطيرا السعد نادى حيث غنى قد انشرحت بفتحكم الصدور

الى ان قال :

وفي ثغر العرائش قد تبدى لقدركم على الشعرى الظهور
لقد جاء الملوك فساوموها ورام وها فبان لها نفور
فلما جئتها انقادت وقالت اليك بحق مولانا المصير
ملكت قياد عزتها بذل فما اغنى الحصار ولا العبور

وفى فتح العرائش على يد بطل الدولة العلوية الشريفة المولى اسماعيل قال اليفرنى في روضة التعريف انه وقع بين فقهاء الوقت نزاع في حكم غنيمة العرائش حتى الف في ذلك شيخ شيوخنا قاضى حضرة مكناسة الزيتون ابو مدين السوسى تاليف لخص فيه تحقيق حكم المسالة واماط عنها القناع سماه (السسهم الطائش في حكم غنيمة العرائش) قال المؤلف واولا الاطالة لجلبنا تلك المسالة وحققنا فيها القول وقال اليفرنى نقلا عن كتاب الانوار حاصرها المقدم الريفى ثلاثة اشهر ونصفا وكان عدد النصارى بالعرائش قبل الاستيلاء عليها ثلاثة آلاف ومائتين وحين ظفر المسلمون بهم اسروا منهم الفين وقتلوا منهم اثني عشره مائة ووجدوا فيها من البارود والعدة ما لا يحصى كثرة ومن الانقاض 180 منها 22 من النحاس والباقي من الحديد احدها يسمى القصاب طوله 35 قدما وقال الفقيه الورع العالم الشهير سيدى عبد السلام بن حمدون جسوس يحرك همة المولى اسماعيل لما بقى من الثغور :

رنعت منازل سبتة اقوالها تشكو اليكم بالذى قد هالها
مع بادس وبريجة فتعطفوا وتنبهوا كي تسمعوا تسآلها
يا ابن النبي الهاشمى محمد قل يا امير المومنين انا لها

فلقد قضيتم للعرائش حاجة مع طنجة فاقضوا الذى أمالها
عار عليكم ان تكون اسيرة بجواركم وجنودكم تعزى لها

وقال في ذلك الشريف الاديب ابو محمد سيدى عبد السلام بن الطيب القادرى وهى قصيدة طويلة منها :

علا عرش دين الله كل عرائش وهز بنصر الله ثغر العرائش
وكل عريش منه تلت عروشه ورجت به رجا صواعق نابش
واسلم للاسلام من بعد كفره بوقع سيوف لا برشوة رائش

الى ان قال :

فسل عامرى معمورة عن فتوحه وسل طنجة من قبل هذى العرائش
لقد كان دينا فتحها فانقضى به كذلك ما فى الارض من كل نابش

وذكر ابو العباس ابن الحاج في الدر المنتخب ان الكاتب ابا حفص عمر الحراق انشد بعد فتح العرائش قصيدة طويلة منها قوله :

ومن عجب تروم الروم حربا بسهل او حزون او جبال
وقد شهدوا العرائش يوم جاءت بها الاجناد تزحف للقتال

وكان المولى اسماعيل قد جعل في جملة وزرائه وزيرا للخارجية، وكانت مهمة الخارجية المفاوضة مع الاجانب وعقد المعاهدات، وكانت هذه الوزارة مسندة اذ ذاك لعامل طنجة والعرائش، ولذلك نجد عاملى طنجة والعرائش هما اللذان كانا يمثلان وزارة الخارجية، والعاملان كانا في ذلك الوقت هما السيد على بن عبد الله الحمامي وابنه السيد احمد بن على، ومن ذرية هذين السيدين آل بن عبد الصادق المشهورين بطنجة، وتوجد رسالة في كتاب العز والصولة للعامل السيد على بن عبد الله الحمامي، كتبها الى لوزير الرابع عشر ملك فرنسا بالنيابة عن المولى اسماعيل يخبره بأنه ولى على ثغر طنجة وتطوان والعرائش والمعمورة وله التفويض التام من قبل سنيده على هذا الاقليم ليتكلم معه ومع كل اجناس النصارى، وبقيت هذه الخطة متبعة فى اسناد الشؤون الخارجية الى عمال طنجة ونواحيها الى عهد المولى عبد الرحمن بن

هشام، كما سيأتي ذكره.

وبعد ما انتهى المولى اسماعيل من فتح مدينة العرائش، توجه رحمه الله الى خلع ثوب الحداد الذى اتخذه المغاربة شعار حزنهم على فقدان العرائش منذ ان استولى عليها الاسبان، ففى شهر ربيع الاول من سنة الفتح، امر بخلع النعال السود وجعل لباس النعال الصفر مكانها، ومن ذلك الحين اتخذ الناس النعال الصفر الى ان بدأت النعال البيض في اواسط القرن الحالي تظهر بين الطبقات الغنية والمتوسطة، وهي نعال لم تكن معروفة في اوائل هذا القرن، كما شاع الان استعمال الاحذية الاروبية بين مختلف الطبقات، وفي سنة اثنين ومائة والف هجرية امر المولى اسماعيل رحمه الله بالمسير الى مدينة اصيلة، فسار اليها المجاهدون وحاصروها ثم ملكوها في السنة المذكورة وعمرها اهل الريف، وبنى قائدهم بها مسجدين وحماما وبنى داره بقلعتها وقال عنها صاحب الاتحاف ان ساحتها كانت تقام به سوق يقصده الناس بأنواع تجارتهم، وهذا في اول امرها، اما تأسيسها فقد قال الزيانى انها من مدن الادارسة فكانت بيد ابراهيم بن القاسم بن ادريس ثم صارت في يد الحسن الحجام ثم لموسى بن العافية سنة 311 هجرية الى ان نزل عليها اسطول بنى العز في اهل سبتة سنة 663 هجرية قدم ابو القاسم منهم الى قصبتها وخربها.

وكان فتح مدينة اصيلة عام 1102 هجرية قال الناصرى ان المجاهدين لما فرغوا من امر العرائش عمدوا الى اصيلة فنزلوا عليها وحاصروا الاجانب الذين كانوا بها ثم ملكوها عام اثنين ومائة والف وعمرها اهل الريف وبنى قائدهم بها مسجدين ومدرسة وحماما. وكان البرتغاليون قد استولوا على اصيلة في حدود سنة 876 هجرية وظفروا فيها ببيت مال السلطان محمد الشيخ الوطاسى واسروا ولده محمدا المدعوا البرتغالي وابنته وزوجته وجماعة من الاعيان وكان الخطب عظيما اذا قام محمد البرتغالى في الاسر سبع سنين.

وفي سنة 901 هجرية 24 يوليوز 1504 م فاجأ حاكم اصيلة البرتغالى

(جواودى مينسيس) الاسطول المغربى بمصب وادى لكوس عند العرائش وكان يقوده ابو الحسين المنظرى فحطم البرتغالى ستا من سفنه وشن غارات على القبائل المجاورة لاصيلة وكان الحاكمان البرتغاليان لاصيلة وطنجة قد قاما في سنة 908 هجرية 1503 بهجوم شديد على القبائل المجاورة وانتهيا الى القصر الكبير دون ان يفكر في الاستلاء عليه وجرت بينهم وبين قبيلة بنى جرفط معارك عنيفة، وكان ابو الحسن المنظرى قائد تطوان وابو الحسن الراشدى امير شفشاون في سنة 106 هجرية قد غزا مدينة اصيلة ولكن حاكمها جدا ودى مينسيس صد هما وكبد القوات التى كانت معهما خسائر فادحة واراد قبلها السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسى ان ياخد الثار من البرتغاليين على اسره فوقعت بينه وبينهم معارك طاحنة داخل مدينة اصيلة، ورغم جميع المحاولات التى كانت لا سترجاعها بقى البرتغال باصيلة الى سنة سبع وتسعين وتسعمائة ففى اليوم الثانى من ذى القعدة منها اخلى النصارى مدينة اصيلة حملهم الخوف من كتيبة المسلمين المرابطة هنا لك على الفرار بانفسهم فتركوها خالية وذهبوا، وفي ذلك يقول ابو العباس ابن القاضى، يهنئى المنصور الذهبى بفتح اصيلة ومشيرا الى مكيدة البارود الذى نجا الله المسلمين من مكيدتهم حيث قال :

يايها المنصور ابشر بالعلا ... فالله ابلغ في العدا المامولا
انفاكم سيفا الحتف عداته ... وبكم غدا سيف الردى مفلولا
وهزمتم الشرك المتين بعزمكم ... من غير سيف لم يرى مسلولا
واذيتم كيد الخبيث بهمة ... وفتحتم دار العدا اصيلا
اكرم به من مالك بل صالح ... اضحى لبارود العداة خليلا
لا زال في انف الهدى شمما وفي ... عين العلاء يشاكل التكحيلا

العرائش بعد وفاة المولى اسماعيل

كان المولى اسماعيل رحمه الله يقدر القائدين الكبيرين على بن عبد الله الحمامى الريفي، وابنه القائد احمد، يشاورهما في امور الجهاد وغيره ويعمل برأيهما في غزو المحتلين حتى جعل قواد الريف والقصر الكبير والعرائش وطنجة وتطوان ومن في حكم ذلك تحت نظرهما وأمرهما مدة حياته الى أن توفى القائد علي بن عبد الله بمدينة طنجة ثم ولى ابنه بعده ولما جاء المولى احمد بن المولى اسماعيل ازال القائد أحمد عن تطوان وابقاه على العرائش واصيلة وطنجة حيث كان اخوته خلفاء عنه وكان أهالى هذه الناحية الى جانبهم، ولهذا نجد العرائش تشارك في الفتنة التى كانت بين أبناء المولى اسماعيل الامر الذى جعل المولى عبد الله يحاصر مدينة العرائش لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر بسبب لجوء قبيلتى طليق والخلوط اليها واعتصامهم بها فارين من جيش المولى عبد الله فبقوا بها الى ان انزلهم المولى عبد الله على الصلح وخرجوا على الامان مع جماعة الودايا، فعفى عنهم وولى عليهم كبيرهم السيد حبيب المالكى، فولاه عليهم وأضاف اليه قبائل الجبل كلها، والسبب في ذلك كله، ان العرائش كانت تحت قيادة السيد أحمد الريفي صاحب طنجة وهو المشايع للمولى المستضئ، وعرب الخلوط كانوا من المناصرين اولا للمولى احمد ثم المستضئ، والمعروف عنهم انهم من بنى المنطلق، كان موطنهم الاول تامسنا، ثم تطورت بهم الاحداث فاستقروا ببلاد الهبط مع سفيان وبنى مالك، وكان ذلك على عهد الدولة الموحدية، أما قبيلتا سفيان وبنى مالك فكانتا من المناصرين للمولى عبد الله بن اسماعيل وكان يرأس قبيلة سفيان عبد الله السفيانى، وبنى مالك محمد الحبيب المالكي، قال صاحب الدر المنتخب أن القبيلتين الموالیتين للمولى عبد الله كثيرا ما امتحنتا، ففى أيام فتنة العبيد كان زعيم العبيد المسمى زعبول

قد أغار على القبيلتين ففروا الى العرائش وتحصنوا بها واحتوى العبيد على أموالهم ومواشيهم وتابعوهم الى العرائش، وحين لم يستطع العبيد الدخول عليهم في المدينة، انقلبوا راجعين، وفي منقلبهم دخلوا القصر الكبير على حين غفلة من أهله وفعلوا كل شنيع به عادة كل غوغاء، وفي عام خمسة وخمسين ومائة والف هجرية دخلت جماعة من أهل فاس مدينة العرائش والسبب في ذلك أن داء الطاعون قد عم بالمغرب وخصوصا بفاس ومكناس ونواحيها وانحبست الامطار وارتفعت الاسعار وفشا الجوع في القرى والامصار وتفرق اهل فاس في البلاد كالقصر ووزان والعرائش وقطوان وطنجة، وفي اول شوال من عام سبعين ومائة والف دخل سيدى محمد بن عبد الله العرائش من قبل ابيه يوم كان خليفة عنه بمراكش، وحينما دخل العرائش واستولى عليها كتب لوالده المولى عبد الله يعلمه بما جرى وانه حاز المرسى فاجابه قائلا هل انا محجور لك عن تلك المرسى انقوت منها، واغتاظ غيظا شديدا حتى قال في شأن المنة عليه بحوزه لمرسى العرائش دعاء عليه : اللهم سلط عليه من ذريته من ينزع له ما بيده، وكانت هذه الرحلة تفقدية لبلاد الهبط من طرف خليفة مراكش سيدى محمد فدخل شفشاون ومنها انتقل الى تطوان ثم صار الى طنجة ومنها الى العرائش الذى كتب منها الى ابيه كما سبق ذكره ومن القضاة الذين استقضوا بالعرائش في هذه الفترة وبالخصوص ايام المولى عبد الله القاضى السيد محمد بن عبد القادر الفاسى الفهرى كان قاضيا بالعرائش عام 1170 هجرية.

العرائش فى عهد المولى محمد بن عبد الله

استأنف المغرب حياته في ظل هذا الملك الصالح بطريقة كان قد حاد عنها منذ ما يزيد على الثلاثين سنة كانت كلها فتنا واهوالا من جراء العبيد الذين استأسدوا في المغرب واثاروا فيه الفساد، لانشغال ابناء المولى اسماعيل عنهم بقضية النزاع على الملك، ولكن كل ذلك قد انتهى بموت المولى عبد الله وصعود ولده سيدى محمد على عرش المغرب، فابتدأ المغرب به حياة الامن والاستقرار والبناء، مما جعله بحق في سنوات قلائل محل اعتبار وتقدير لدى كل الدول التى لها مصالح تربطها بالمغرب، او التى لم تكن قد اتصلت به فأخذت تتودد اليه وتعمل لخلق الروابط السياسية والاقتصادية معه ففى سنة ثلاث وسبعين ومائة والف دخل سيدى محمد بن عبد الله مدينة العرائش وشاهد من قلة حمايتها، فأنزل بها جيشا من عبيد مكناس وزاد في عمرانها ببناء المساجد والحمامات وحصنها ببناء صقلات وشحنها بالمدافع كما بنى بها مدرسة وسوقا واعتنى بشؤونها من كل الحالات حتى صارت من اعمر الثغور، وكان عدد ما انزل فيها هذه المدة الفا وخمسمائة رجل ما بين جيش وطبجية وبحرية، فكان عدد الطبجية ستة : طراحيات واحد وبكراعات خمسة، وكان سيدى محمد بن عبد الله ولوعا بالجهاد في البحر، فاتخذ لذلك قراصين تكون في غالب الاوقات بمرسى العدوتين سلا والرباط ومرسى العرائش، وكان سفرها في البحر مقصورا على شهرين في السنة من فصل الشتاء لان المراسى في ذلك الوقت كانتا جلها متصلة بالاودية، ففى غير ابان الشتاء يقل الماء وتعلو الرمال بافواه المراسى فيمنع من اجتياز القراصين ويتعذر السفر، ففكر رحمه الله في المرسى الذى يتأتى منه السفر، طول السنة، فبنى ثغر الصويرة واعتنى به لانه سالم من هذه الافات، وكان اسطول المغرب يتردد بين اكناف البحر

ويجوس خلال الثغور الاجنبية فيقتنص المراكب الاجنبية، وكان من جملة ما غنمه الاسطول المغربي اسطولا فرنسيا وعلى اثر ذلك هجم مركب فرنسي على سلا والرباط وأطلق عليهما القنابل ثم رجع من غير ان يحصل على طائل وكان هذا سنة ثمان وسبعين ومائة والف، وفي عام تسع وسبعين هجم أيضا أسطول فرنسي على العرائش فخربها وهدم مسجدها ودورها بما القى عليها من المقذوفات المدمرة، وفي اليوم الثاني من هجومه انزل من عساكر اسطوله الف رجل واقتحموا الوادي في خمسة عشر قاربا وكانت المراكب المغربية راسية في العرائش فحرقوا السفينة التي غنمت منهم وكسروا اخرى ثم رجعوا، وفي رجوعهم بعد التدمير وجدوا القائد محمد الحبيب المالكي الغرباوي قد قطع عليهم خط الرجعة واخذ بمخنقهم على فم الوادي فأسر منهم احد عشر قاربا بما فيها ونجى اربعة منها وارسل من اسر منهم الى مراكش ولم يزالوا عند السلطان سيدي محمد ابن عبد الله الى ان فدتهم دولتهم عندما وقع الصلح في السنة التي بعدها، وهي معاهدة عام ثمانين ومائة والف الموافق ثامن وعشر ماي سنة سبع وستين وسبعمائة والف، وكان ابو القاسم الزياني وابن زكور اذ ذاك من جملة كتاب سيدي محمد بن عبد الله ومن اهل الخط المبسوط يستعملهم ايضا في مكاتبة العمال والثغور والرعاية والشكايات، الا ان الزياني كان قبل ذلك قد عينه عاملا على العرائش وناحيتها الا انه رحمه الله كان معرضا للنكبات السياسية فعزله المولى محمد بن عبد الله عن العرائش واستبدله بعامل تطوان السيد عبد الكريم بن زاكور ثم عفا عنه، ففي اثنين وثمانين ومائة والف قبض على ابي القاسم الزياني وسجنه ثم عفا عنه واعطاه الكتابة في ديوانه وهي التي يقول فيها ابو القاسم في ترجمانته : ولما تخلصت من النكبة وكتب لي امير المومنين سيدي محمد رحمه الله بعد الطلاق رسم الرجعة وقلدت ديوان كتابته، اقبل علي بكليته واخلف ما ضاع لي وصرت بالمماليك والاتباع، وبلغت اعلى المراتب وتقلبت في المناصب، هذا ما كان من حال عامل العرائش ابي القاسم الزياني اما قضاة سيدي محمد بن عبد الله بالعرائش فتذكر منهم القاضي السيد احمد ابن محمد بن قاسم زروق تقضى بها عام 1180

هجرية وتقضى بعده بها القاضى الحاج على بن محمد ازطوط كان قاضيا بها عام 1200 هجرية اما عناية سيدى محمد بن عبد الله بالامور البحرية فترجع الى ايام خلافته عن ابيه بمراكش، وكان قد ورد عليه وفد من بحارة العدوتين : الرباط وسلا، فى السنة التى انشأها ابوه مولاى عبد الله ايام الفتنة فنزلوا بحصن اكادير ثم بعثوا من هناك وفدهم اليه بمراكش، فأكرم ذلك الوفد وبعث معه بالاموال الكثيرة الى المجاهدين بالعدوتين اعانة لهم، ولما استلم زمام الملك كان من جملة ما تشوفت اليه همته الكبرى هوا حياء اسطول ابيه المولى عبد الله واسطول جده المولى اسماعيل لانه الفاه قد اضمحل وتنوسى رغم ما كان له من شهرة واعتبار وعناية، ونظرا لما كان يستفاد منه من المداخيل والمحاصيل فانقطع باهماله خوف امم البحار من تلك العقبان التى كانت لا تفارق البحار من تجوالها واثارة اهوالها وقد انضم لذلك التشوف الملوكى ارشاد بعض علماء عصره بمسطور كبير ومنثور شهير يحثه على احياء سبيل الجهاد واعداد معداته التى لا يستقيم ملك الا بها، فشرع رحمه الله في انشاء السفن البحرية بمرسى العدوتين والعرائش وجعلهما مركزين عظيمين لهذا الغرض المهم، قال ابو عبد الله الدكالى السلاوى فى انحاف اشراف الملاء منوها بأسطول المولى محمد بن عبد الله :

ومصدر الاجفان عدوتا سلا ... بها تشاد ولديها يعتلى
وبعضها ينشأ بالعرائش ... ويل لمن لقيها بطائش
وبلغت اجفانه الميمنا ... وكان قصده بها مبيمنا
فتح بلاد الغرب مما قد بقى ... من الثغور مبهم التطرق
ورد ما يعرض من هجوم ... على بلاده كمثل الروم
وكان بعضهم تعدى الحدا ... فهاجم الثغور لكن ردا

قال الضعيف : بلغ عدد رؤساء البحرية ستين، كلها بمراكبها وبحارتها، وكان عدد مراكبه البحرية عشرين من المربع وثلاثين من الفلاكيط، وعدد عسكره البحرى المشارقة الفا، ومن البحرية الافاقيين الرئيس يوسف الطرابلسى من طرابلس الغرب، ومن المغاربة ثلاثة آلاف،

ومن رماة المدفع اربعين، ومن عسكر ارقاء العبيد خمسة عشر الفا، ومن الاحرار سبعة آلاف، وكان الرئيس العام لجميع الثغور فى عهد المولى محمد بن عبد الله، الحاج عبد الله اليعقوبى السلاوى ثم الحاج الهاشمى بن احمد عواد السلاوى، وفى هذا التاريخ، اى عقب وقعة الفرنسيس بالعرائش كان قدوم ابنه المولى يزيد الى فاس، ومعه جماعة من رؤساء البحر والطبجية اهل الاجادة فى الرمى، وكان قدومه لفاس بأمر من والده سيدي محمد، وذلك لجر المدافع والمهاريس النحاسية التي كانت بفاس الجديد ومكناس ونقلها الى ثغر العرائش ففعلوا، وكلف السلطان القبائل الذين بطريق العرائش ان يتولوا جرها، فكانت كل قبيلة تبلغها التى تليها الى ان اوصلتها القبائل المجاورة لفاس مشرع مسيعيدة من نهر سبو فتولى جرها اهل الغرب الى ان اوصلوها الى وادى الدردار قرب تجناوت، ثم جرها اهل العرائش وقبائل حوزها الى المدينة، قال ابو القاسم الزيانى فى بستانه الظريف: فورد علينا امر السلطان بالعرائش ان نخرج الى لقائهم فى الجند وقبائل حوز العرائش، فذهبنا الى ان وافيناهم على وادى سبو فتولى اهل الغرب جر تلك المدافع والمهاريس، وتسابقت القبائل على الخيول ولعبوا بالبارود الى المساء ثم رجع المولى يزيد ومن معه من الرؤساء والبحرية والطبجية الى حضره السلطان بمكناس، وقد تم الغرض المقصود، وفي هذه السنة اعنى 1179، قدمت ربة الدار العالية المولاة فاطمة بنت سليمان من مراكش الى فاس بقصد الزيارة، فركبت من ليلتها الى ضريح المولى ادريس رضى الله عنه وضريح الشيخ ابى عبد الله التاودى ثم خرجت بعد ذلك الى مدينة صفرو فزارت ضريح سيدى ابى سرغين وضريح سيدي ابى على اليوسى، ثم ذهبت الى زيارة الشيخ سيدى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه، فصحبها فى ركابها اعيان فاس واشرافها وعلمائها، ولما كانت بطريقها اعترضها قواد الغرب بهداياهم ووافاها قواد الثغور بضريح الشيخ سيدى عبد السلام فى مواكبهم وخيلهم ورجلهم وذلك بأمر من السلطان رحمه الله، قال ابو القاسم الزيانى فى البستان : وكنت يومئذ عاملا على العرائش فحضرت فى جملتهم ولما قضت ارب الزيارة فرقت الاموال على الاشراف من

اهل العلم ثم عادت الى القصر ومنه صارت الى العرائش فأقامت بها ثلاثة ايام وانفض قواد الثغور عنها ورجع كل الى محله وسافرت المولاة المذكورة الى مراكش فى الف فارس من العبيد كانوا قد قدموا معها من مراكش عليهم القائد مصباح، وكان فعلها هذا من الاثار العظيمة والمناقب الفخيمة، وفي سنة ثمانين ومائة والف دخلت الى العرائش عائلة اولاد فنيش غربهم السلطان سيدى محمد اليها بعدما فتك بقائدهم صاحب سلا السيد عبد العزيز فنيش، فسجنوا بالعرائش مدة ثم عفا عنهم وقربهم وولاهم رئاسة الرماية بالمهاريس والمدفع المعروفة بالطبجية وفرقهم على الثغور، فكان بعضهم بالعرائش وبعضهم بطنجة وبعضهم بالرباط وبعضهم بالصويرة، وممن سجن بالعرائش على يد سيدى محمد بن عبد الله الباشا حبيب المالكى قائد الغرب كان رأس الامرا ايام ابيه فقبض عليه واودعه المطبق وامر بهدم قصره وحمل انقاضه الى العرائش ونهب ماله وماشيته وكان القائد قد منع على نفسه الطعام والشراب بالسجن الى ان مات به، وفى سنة احدى وثمانين ومائة والف وردت هدية السلطان مصطفى العثمانى على سيدى محمد بن عبد الله في مركب موسوق بالمدافع والمهاريس النحاسية مع اقامتها واقامة المراكب القرصانية من صوارى ومخاطف وقلوع وقمن وحبال وبراميل وغير ذلك من آلات البحر، فنزلوا بمرسى العرائش وفيها ثلاثون من مهرة المعلمين الذين لهم معرفة بصنع المدافع والمهاريس والكور والبنب وبصناعة المراكب القرصانية، وفيهم معلم مجيد في الرمى بالمهاريس الى الغاية، قال ابو القاسم الزيانى : وكنت يومئذ واليا بالعرائش فورد امر السلطان بتوجيه المعلمين الى فاس ليقيموا بها حتى يقدم السلطان من مراكش ليجتمع بهم، فاجتمع بهم بمكناس وعرض عليهم الخدمة فقبلوا وفرقهم على الثغور والى ذلك اشار ابو عبد الله الدكالى حيث قال :

فبذل الجهد وواصل العمل ... واستجلب الانفاض من كل محل
ووصل الحبل مع الاتراك ... بكل ما يصح للعراك
من مدفع ومركب وعدد ... وبذل محصول لخير مدد

وترددت بواخر الاتراك على مرسى العرائش فى ذلك الحين مرات متعددة لنقل ادوات الحرب وغيرها من انواع السلع التى كان المغرب يتبادلها مع الاتراك، وكانت مرسى العرائش اذ ذاك لا زالت هى القريبة للاتراك، وعاصمة المغرب مراكش، وكان فى معية الهدية خديم السلطان الرئيس عبد الكريم اراغون التطوانى الذى كان ارسله سفيرا الى السلطان مصطفى العثمانى، وهذا دليل واضح يرشد الى ما كان عليه ثغر العرائش لدى المولى محمد بن عبد الله من اعتبار واهتمام اذ جعل رحمه الله ميناءه في درجة لا تقل اهمية عن باقى الموانئ المغربية الاخرى، فكانت السفن التجارية والحربية ترسو بمرفئه باستمرار، ترد عليه من مختلف الدول التى كان المغرب يتعامل معها ومن اهتمامه بثغر العرائش انه جعله احد المراكز لصناعة السفن، وجعله كذلك ايضا مقرا يؤدب فيه من اراد تأديبه بتغريبه اليه او سجنه في حبسه، ومن اهتمامه رحمه الله بهذا الثغر انه ترك فيه ما يوذن باهتمام جلالته بالتشييد والعمران، فشيد به المسجد الاعظم الذى لا زال قائما يذكر فيه اسم الله، وقد اوقف رحمه الله على المسجد اوقافا منها السوق الداخلى، او السوق الصغير كما هو معروف عند اهل العرائش، وكان قد اوقف ايضا على المسجد ارضا كبيرة بالغديرة وهى المعروفه بأرض مروان، فاستبدلت هذه الارض بمصلحة اخرى، وبنى رحمه الله المدرسة المتصلة بالمسجد الاعظم وبنى بها ابراجا وصقلات، وفى ايامه رحمه الله كثر العمران بثغر العرائش وكان ذلك بسبب اسكان جماعة من السكان الاخرين من غير الجيش قدموا اليه فى وظائف مدنية وبقصد الاستيطان من مدن المغرب وقبائله، ولما دخلت سنة اربع ومائتين والف توفى سيدى محمد بن عبد الله، وذلك يوم الاحد رابع وعشرين رجب الفرد من السنة المذكورة فى طريقه قرب الرباط متجها الى ابنه المولى يزيد الذى اعتصم بجبل العلم من الحرم المشيشى ليهدئ نفس ابنه وينزله على الامن فلم يبلغ امله رحمه الله، اذ عاجلته المنية في الطريق وقدرناه عدد كبير من الشعراء، ومن القصائد التى قيلت فى رثائه قصيدة الشيخ مرتضى الحسينى الواسطى صاحب شرحى الاحياء والقاموس يرثيه ويهنئ بالملك ابنه المولى اليزيد،

جاء فيها :

يا دهر بع رتب المعالى كلها ... مات الشريف ابن الشريف محمد
اعنى امير المومنين وعصمه المجد ... المكين المستغاث المسند
ملك الملوك الصالحين وحرزهم ... بيت القصيد المرتجى والمقصد
بيت له عند الملوك جلالة ... وهم لديه راكعون وسجد
بيت له شرف اشم وعزة ... ومهابة وصلابة وتسدد
بيت يزيد مليكه وبنو ابيه ... معاضدوه فكيف لا يتأيد
لا زلتم تتوارثون سيادة ... ابدا يقوم بها وينهض سيد
خلعت ثياب الحزن عنها واكتسب ... ثوب السرور واقبلت تتأود
نجل الملوك الطاهرين رئيسهم ... تاج الايمة والفخار الاوحد
الصالح البر الفتى العالم الورع ... الولى العابد المتهجد
الحازم اليقظ الزكى اللين الخشن ... الرضى المتنمر المتأسد

ثم قال :

يا أهل اسماعيل يا أهل الوفا ... يا من لهم ذاك العلا والسؤدد
القائلين الفاعلين المطعمين ... المطلبين لنار حرب توقد
ما منكم الا زعيم ماجد ... شيخ وكهل في الكمال وامرد

وكان المولى يزيد بن محمد يكره الاسبانيين ويعاديهم، فبمجرد ما تمت له البيعة نقض الصلح الذى كان معقودا مع الاسبانيين وعمد الى من كان بمراسيه من نصارى الاسبان تجارا وغيرهم فقبض عليهم وسلكهم فى السلاسل وساقهم الى طنجة فحبسهم بها واستمر حبسهم بطنجة، الى ان وقع التفادى بهم فى اسرى مغاربة كان قرصان اسبانيا قد اسرهم من مركبهم قرب العرائش اما بيعة المولى يزيد بن محمد بن عبد الله فتمت على الشكل التالى وذلك انه لما بلغه خبر موت والده وهو بمقره بجبل العلم دعا الى نفسه وبايعه الاشراف العلميون وسائر اهل الجبل كله، وكان الجيش الذى ارسله اليه والده بقصد المضايقة عليه اسبق الناس الى مبايعته، وكان هذا الجيش مقسم الى قسمين قسم منه تحت قيادة شقيقه المولى مسلمة بن محمد وقسم آخر تحت

قيادة القائد العباس البخارى، وهذان الجيشان كانا يقيمان قرب الحرم العلمى كل واحد منهما فى جهة، وقد منع الجيشان المولى يزيد من التصرف طيلة حياة ابيه، وفى هذه المدة بنى المولى يزيد داره التى لا زالت جدرانها قائمة تحت الجبل بمدشر الحصن ولما استتب الامر للمولى يزيد بجبل العلم توجه الى تطوان فأخذ البيعة من اهلها ومن القبائل المجاورة لها، ثم وفد عليه اهل طنجة والعرائش واصيلة وقدم عليه وفد اهل فاس وهو مكون من اشرافها واعلامها واعيانها، ثم انتقل الى مدينة العرائش فوافاه بها وفد حاشية ابيه وخدمه ووجوه دولته بما خلفه والده من قباب وخيل وبغال وسائر اثاثه فأحسن اليهم وصاوا معه في ركابه الى زرهون، ومن الصدف العجيبة انه لما كان مقيما بالعرائش ظهر قراصين للاسبان يطوفون بالمياه المغربية قرب العرائش قيل هو الذى اظهرهم من سطح الدار فأرسل اليهم وظفر بهم واسرهم مع مراكبهم، وكانت قراصين المسلمين الحربية يومئذ ستة عشرة قرصنة وفيها من المدافع ثلاثمائة وستة مدافع، ولم ينتقل المولى يزيد عن العرائش وعن بلاد الهبط حتى خلف عليهم شقيقه المولى مسلمة، فبقى خليفة عنه ببلاد الهبط والجبل يدبر الامر بثغورها وينظر في امورها، فلما اتصل به خبر موته، دعا لنفسه اهل تلك البلاد، فبايعوه واتفقت كلمتهم عليه، اما ابو القاسم الزيانى فكان من المناوئين للمولى يزيد ايام حياة ابيه، ولذلك نجد المولى يزيد يقبض على الزيانى ويعذبه ويجلده ثم يسجنه في العرائش وفي غيرها وينقله من سجن الى سجن، وبقى في سجنه الى ان اقتحم اهل الرباط الرباط السجن واخرجوه، فكافأه المولى سليمان وولاه عمالة وجدة مباشرة سنة ست ومائتين والف 1792 ميلادية، ولما تداعى امر المولى مسلمة الى الاختلال حيث فر الى تلمسان، وتمت الكلمة في المغرب للمولى سليمان، عقد لاخيه المولى الطيب بن محمد على عشرة آلاف من الخيل وعين معه جماعة من قواد الجيش وارسله الى قبائل الحوز الذين كانوا متمسكين بدعوة المولى هشام بن محمد من لدن دولة المولى يزيد، ولما صفت له بلاد الغرب ارسله الى اطفاء نار الفتنة التى اثارها محمد بن عبد السلام الخمسى المعروف بزيطان في بلاد

الهبط، وفوض الى اخيه امر الثغور وانزله طنجة، وبقى المولى الطيب يدير امر القبائل الجبلية وثغورها من تطوان الى طنجة والى العرائش، وكلما بدت له فرجة سدها او فرصة انتهزها وحارب قبائل الفحص الى ان استكانوا وانقادوا الى الطاعة، ثم حارب اهل حوز طنجة واصيلة من بنى يدر والاخماس اصحاب زيطان فكانت الحرب بينهم سجالا، وفي سنة تسع ومائتين والف خرج المولى الطيب من طنجة ومعه عسكرها وعسكر العرائش وصمد الى بنى جرفط ونزل على بلادهم وقاتلهم فى عقر دارهم، فقتل مقاتلتهم واحرق مداشرهم وانتهب اموالهم ومزقهم كل ممزق، فجاءوا خاضعين تائبين، فعفى عنهم، وفى هذه الفترة اى ايام خلافة المولى الطيب على بلاد الهبط يقول : ابو القاسم الزيانى فى ترجمانته : ان المولى سليمان دعاه الى الاجتماع به اياما ثلاثة، وفى اليوم الثالث ذكر له امر ولاية العرائش من جديد فاعتذر الزيانى للمولى سليمان عن الولاية فأ عفاه منها، ويقول فى البستان الظريف : انه كلف بتفتيش رؤساء المراسى بثغور شمال المغرب من طرف المولى سليمان، قال : فتوجهت لثغر طنجة محل ولاية اخيه الطيب فذهبت اليه وبالغ فى الاكرام واحسن الضيافة وعرف ما جئت له فأظهر البراءة والتعفف والزهد فيها واوصى خدامه ان يتخلوا عن الدخول في المرسى وما يقبض فيها وكتب الى امناء المراسى الا يحدثوا حدثا الا عن اذنى ومشورتى، وفتشت ديوانة طنجة وتوجهت الى العرائش فاقمت فيها شهرا الى ان رتبت امورها وضبطت داخلها وخارجها، وعينت من يوثق به فى مرساها، ثم توجهت لتطوان فأقمت بها الى ان ضبطت مستفاد مرساها وعينت من يضبطه، ثم رجعت عنها لطنجة بعد سفر المولى الطيب عنها للعرائش، فجمعت مستفاد المراسى الثلاث في دفتر عن ستة اشهر وبعثت الدفتر لامير المومنين ونوه بى وكتب بالثناء الجميل وعزل اخاه عن المرسى الثلاث ونقله لانفا : تامسنا الى ان عزله عنها وبعثه لدارهم بفاس وولى على جميع الثغور البحرية الشمالية القائد الشهير ابا زيد عبد الرحمن بن على اشعاش التطوانى ثم عزله وولى عليها القائد محمد السلاوى البخارى واضاف له قبائل الغرب والجبال كلها، وفي هذه الحقبة التى كاد الامر

فيها ان يفلت من يد المولى سليمان اذ بايع اهل فاس واهل تطوان المولى ابراهيم بن السلطان المولى يزيد، وفي مسير المولى ابراهيم من فاس الى تطوان، نزل في طريقه بالكدية الاسماعيلية قرب القصر الكبير ومنها كتب الى اهل الثغور بالعرائش وطنجة وتطوان يدعوهم الى بيعة سلطانهم والدخول في حزبه، فأما اهل العرائش وطنجة فأجابوا بالمنع وقيل ان اهل العرائش بايعوا المولى ابراهيم ووفد عليه بعضهم، ويظهر ان ذلك كان فى وقت آخر، لان المولى ابراهيم لم يدخل العرائش ولا طنجة فى هذه المدة، فتابع طريقه الى تطون التى اجابته عن كتابه بالقبول، فسار اليها واستولى على مال المرسى وعلى مخازن السلطان وما فيها من سلاح وكتان وملف وغير ذلك، فوزعته البربر وانهبته ولم تطل حياة المولى ابراهيم بتطوان فمكث بها سبعة واربعين يوما اذ توفى فيها على ما ذكره صاحب الاستقصا، وبايعوا اخاه المولى سعيد بن يزيد فنهض اليهم المولى سليمان من مراكش وفرق تلك الجموع وقطع رؤوس الفتنة وحاصر تطوان الى ان نزل اهلها على حكمه بعد حروب طاحنة جرت بينه وبين اهل تطوان وبعدها دخل العرائش.

دخول المولى سليمان الى العرائش

ولما كان المولى سليمان مقيما بمدينة طنجة وجيشه برابط على مدينة تطوان لانزالها على حكمه ارسل الى ابن اخيه المولى عبد الحرمن بن هشام يستفسره عن مدينة الصويرة التى كان حاكما لها ويدعوه الى القدوم عليه ببلاد الهبط، فخرج المولى عبد الرحمان قاصدا عمه ببلاد الهبط، ولما كان في طريقه صادف ان استوزر المولى سليمان ابا عبد الله اكنسوس وبعثه للمولى عبد الرحمن ليصحبه في القدوم عليه من مدينة القصر الكبير، قال الوزير اكنسوس : فلما جئنا القصر الكبير وجدنا السلطان لا زال مقيما بطنجة فقدمت عليه واعلمته بوصول المولى عبد الرحمن، فخرج السلطان من طنجة وجعل طريقه على اصيلة وكتب الى ابن اخيه ان يتقدم بالجيش الى مدينة العرائش، ففعل المولى عبد الرحمن، وفي العرائش اجتمع بعمه المولى سليمان فسر بمقدمه ثم دعا السلطان قواد الحوز وفيهم القائد عبد المالك بن بيهى والقائد على بن محمد الشيظمى، والسيد محمد بن الغنيمى نائبا عن الحاج حمان العبدى والقائد بلعباس بن المزوار الدكالى البزوارى والحاج العربى بن رقية البوزرارى، والقائد محمد بن حيدة البوعزيزى والقائد المعطى الحمرى والقائد الصديق ابن الفنيه العمرانى، ولما اجتمعوا خرج عليهم السلطان وجلس ثم دعا بالقائد عبد المالك بن بيهى واجلسه الى جنبه ودعا له بخير، وكلم السلطان الجموع واثنى عليها، وكان هذا الجمع الذى عقده المولى سليمان بالعرائش مع ولى عهده وقواد جيشه ووجوه اعيان دولته في شهر رجب سنة سبع وثلاثين ومائتين والف، ومن العرائش ارتحل الى فاس في قبائل الحوز، ولما فتح فاسا استخلف عليه المولى عبد الرحمن، ثم قفل راجعا الى تطوان، ولما وصل الى نهر سبو وفد عليه اهل تطوان تائبين طائعين وفيهم قائدهم العربى بن يوسف

السلماني، ولما صفا له امر تطوان انقلب السلطان راجعا الى مراكش فدخلها في رمضان من السنة المذكورة، ولم يفارق المولى سليمان الحياة الا بعد ان القى زمام الامة فى يد ابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام ووصى له عندما شعر بدنو اجله فتوفى رحمه الله فى ثالث عشر ربيع الاول عام ثمانية وثلاثين ومائتين والف هجرية بعدما اقام العدل والرفق بالرعية ورد الاشياء الى اصلها فأسقط المكوس التى كانت موظفة على حواضر المغرب فى الابواب والاسواق وعلى السلع والغلل فتمولت القبائل حتى قال صاحب البستان فى حقه : ولا يعرف مقدار هذا السلطان الا من تغرب عن الاوطان وحمل عصا التسيار ورمت به فى الاقطار الاسفار وشاهد سيرة الملوك فى العباد، وما عمت به البلوى فى سائر البلاد ولا يتحقق اهل المغرب بعدله الا بعد مغيبه وفقده.

المرء ما دام حيا يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

وكان المولى سليمان رحمه الله من الملوك الذين اولوا عنايتهم ورعايتهم بمدينة العرائش فمصرها ونصب بها حكاما وقضاة فمن جملة قضاته بها القاضى السيد حمدون بلحاج الفاسى كان قاضيا بالعرائش عام 1219 هجرية ثم ولى القضاء بها بعده القاضى السيد على بن محمد بوزيد كان قاضيا بها عام 1220 عام وبعده كان قاضيا بها القاضى السيد احمد بن الطيب العزيزى وذلك عام 1227 وبعده جاء القاضى السيد على بن محمد التالونى عام 1230 هجرية.

وفي عهده جاء العالم الاسبانى « دومنغو باديا » الذى اعتنق الاسلام واسمى نفسه على بك العباسى الذى ساح في المغرب سياحته العلمية الاجتماعية الادبية وهو من المستشرقين المستكشفين، الف رحلته في ثلاثة اجزاء طبعت بباريس سنة 1814، وحينما دخل المغرب كان يحمل هدايا الى المولى سليمان منها مدفع وعشرون بندقية وثلاثون مسدسا وبرميل من البارود الانكليزى تقبلها المولى سليمان شاكرا، وقام برحلته فى مدن المغرب، ومما ذكره على بك العباسى عن مدينة العرائش حسبما هو مذكور في رحلته انها كانت قرية لا يتجاوز عدد سكانها ثلاثة الف

نفس، ومما شاهده انه رأى خارج القرية مقاما لولية سماها مريانا ـ مرجانة ـ يزار كما تزار مقامات الاولياء في هذه الايام للتبرك والتوسل قلت لعلها السيدة منانة بنت القائد الجيلالي بن عبد الله المصباحي التي لازالت روضتها مزارة في مدينة العرائش الى الان، فهي التي كانت روضتها خارج البلد اذ ذاك فعبر عنها الرحالة السيد امين الريحاني في كتابه المغرب الاقصى، بمريانا او مرجانة ولا زال اهل العرائش الى الان يعظمون للا منانة ويزورون مقامها وجرت عادتهم انهم يقيمون لها موسما في كل سنة من ايام ربيع الاول، وسميت مدرسة للبنات باسمها وهي مدرسة للا منانة الواقعة قرب الميناء كما سياتي ذكره، وعلى عهد السلطان المولى سليمان كان قد ظهر تفوق بحري من طرف بعض الدول الاروبية، وعلى العكس من ذلك كانت الدول المغربية قد اهملت شؤون العمل البحري كلية، اذ قرر المولى سليمان تجنب الاعمال البحرية من المياه المغربية ومنع القراصنة المغاربة من الجولان في البحر وفرق ما كان قد بقي من السفن على موانئ المغرب العربي، فأرسل البعض الى الجزائر والبعض الاخر الى طرابلس وترك البعض بموانئ المغرب وجرده من المدافع واجهزة الدفاع تجنبا لكل حادث، ففي عام 1233 ـ 1871 منع المولى سليمان الاسطول المغربي من الجهاد في البحر ووزع بعض قطعه على المجاورة للمغرب منل الجزائر وطرابلس والباقي انزل منه المدافع وغيرها من آلات الحرب واعراض عن امر البحر راسا بعد ان كان الاسطول المغربي اكثر واحسن من اسطول الجزائر وتونس ما الذي حمل المولى سليمان على اتخاذ هذا القرار الخطير الذي ترك شواطئ المغرب مكشوفة ليس لها من اسطول يحميها، ليس هو الا ضغط ماكر من بعض الدول التي صاقت بالاساطيل العربية العتيدة وحتى تبقى الشواطئ التي تقلق بال هذه الدول مكشوفة.

الهجوم النمساوى على العرائش

كان المولى عبد الرحمن بن هشام قد اصدر قراره عام 1243 هجرية 1827 ميلادية بانشاء بعض القراصين لتضم ما كان قد بقى من عهد جده السلطان سيد محمد بن عبد الله واذن لرؤساء البحر بالعدوتين فى الخروج فيها فخرج الرئيسان الحاج عبد الرحمن بركاش والحاج عبد الرحمان بريطل وغنموا بعض مراكب النمسا التي لم توجد معها رخصة المرور وساقاها تحت الاسر الى العرائش حيث ترك البعض منها هنا وارسل البعض الاخر الى مرسى العدوتين، فكان هذا العمل سببا في تعرض احدى موانئ المغرب لهجوم قطعة من الاسطول النمساوى الذى ضرب العرائش عام 1245 هجرية 1829 ميلادية كان الهجوم بستة مراكب حربية رمت المدينة بالقذائف من الضحى الى المغرب وانزل الى البر جندا مكونا من خمسمائة فرد من الجهة المعروفة بالمقصورة وقصدوا المراكب المغربية التى كانت راسية بداخل الوادى فاوقدوا فيها النار وقبل نزول الجيش من البحر كانوا قد وجهوا المدافع نحو مدخل الوادى ليمنعوا النجدة التى تصل من الضفة المقابلة ولكنه رغم ما رمى به النابربال من القذائف انهال عليهم المسلمون من كل جهة من اهل الساحل وغيرهم وانكب عليهم اهل العرائش واحوازها سبحا فى الوادى وعلى ظهر الفلك الى ان خالطوهم وفتكوا بهم فتكا ذريعا وصادف ان كان وقت الحصاد فشارك الحصادون فى المعركة وابلى الكل بلاء حسنا حتى قتل من الاعداء عددا وردوا على اعقابهم خاسرين، وذكر الناصرى نقلا عن منويل هذه المعركة وقال ان النابربال قتل منهم ثلاثة واربعون سوى الاسارى وتركوا مدفعا واحدا وشيئا كثيرا من العدة وافلت الباقي منهم الى مراكبهم، ومن هذه الوقعة تبين للمولى عبد الرحمن تفوق الفرنج فى الميدان البحرى، وان المغرب لا استعداد له اذ ذاك ولا

قدرة له على الخصوص فى الخصومة او الدفاع عن البحر وترك ما من شأنه ان يحرك الخلاف بين اروبا والمغرب، واكد ذلك ما حصل من الاستيلاء على ثغور الجزائر من طرف الفرنسيين وقتئذ، فوقف عن امر البحر رعيا للمصلحة الوقتية واكد امر تجنب شؤون البحر لدى المولى عبد الرحمن ما تم من استيلاء الفرنسيين على جميع بلاد المغرب الاوسط سنة تسع وخمسين ومائتين والف، وضاق الامر بذلك على الامير عبد القادر الذى لم يبق لجولاته الا ان ينتقل في اطرافه او في الصحراء ومرة يدخل المغرب ويقيم ببنى يزناسيين ووجدة والريف، الامر الذى ادى بالفرنسيين اذ ذاك ان يمدوا ايديهم الى المغرب الشرقى فيضطر المولى عبد الرحمان الى النداء بالجهاد واستنفار كل من له قدرة على ذلك، فيجمع الجموع ويرسلها الى ناحية وجدة، فكانت معارك طاحنة نذكر من ذلك ما سجله الوزير ابن ادريس في قصيدته التى نشرها بمناسبة استنفار اهل المغرب للجهاد وهى من جملة الدوافع والاسباب التى دفعت الى حركة العزائم فى نفوسهم للدفاع عن حوزة بلادهم قال رحمه الله :

يا اهل مغربنا حق النفير لكم ... الى الجهاد فما في الحق من غلط
فالشرك من جنبات الشرق جاوركم ... من بعد ما سام اهل الدين بالشطط
فلا يغرنكم من ليـن جانبـه ... ما عاد قبل على الاسلام بالسخط
فعنده من ضروب المكر ما عجزت ... عن ذكره فكرة الشبان والشمط
فواتح المكر تبدو من خواتمـه ... فعنده المكر والمكروه فى نمـط
وانتم القصد لا تبقـون في دعـة ... ان السكون الى الاعدا من السقط
من جاور الشر لا يعـدم بوائقـه ... كيف الحياة مع الحيات في سفط

وكان هذا النفير لوقعة وادى ايسلى الذى عقد السلطان فيها على الجيش لولده وخليفته المولى محمد بن عبد الرحمن الذى ما لبث ان التقى الجمعان وانتشب الحرب وكثرت الاحن بين المغرب وفرنسا مما اضطر السلطان معها الى مهادنة الفرنسيين بواسطة سفيره عامل طنجة والعرائش الفقيه السيد ابى سلهام بن على ازطوط العرائشى فصالحهم

على شروط ثمانية ذكرها المؤرخون اعرضنا عنها خوف الاطالة والخروج عما نحن بصدده، ورغم كل هذه المتاعب والمحن كان المغرب في وحدة وانسجام يرد عنه الغارات البرية والبحرية فى تلك الفترة الحالكة وكان من قضاة العرائش وفقهائها اذ ذاك السيد على الطيب بن على ازطوط كانت ولايته 1250 هجرية وفى تلك الاونة كان هجوم بحرى من الفرنسيس على ثغر العرائش لاجل التضييق على المولى عبد الرحمن، وفي ذلك الوقت، ظهر ان المغرب اصبح حجر عشرة تقرع كل مرة من طرف من اراد التدخل فى شؤونه من الدول الاستعمارية فجاءت فى عهد المولى محمد بن عبد الرحمن حرب تطوان ايضا ضغطا على اجبالة، سببها الخلاف على الحدود بين سبتة والمغرب، فتقدمت اسبانيا بمطالب مجحفة، ولما لم يقبلها المغرب شنت الحرب عليه سنة ست وسبعين ومائتين والف موافق 1859 وكانت الثغور كلها مهددة، ولذلك نجد المولى العباس يكتب لعامل العرائش السيد محمد التهامى بن عبد السلام يقول له بأن اهل نواحى العرائش يرابطون بالعرائش كما كانت الامدادات التى تأتى بحرا تنزل بالعرائش ثم تنقل الى تطوان عن طريق البر ولكن كل المحاولات لم تجد شيئا لفساد الاحوال في مجموع المغرب، وبدأت الفوضى بين سكان القبائل ووجد تجار السياسة ميدانا لترويج بضائعهم حتى قامت الفتن في كل جهة وبقى المغرب عاريا من كل حمية تحميه الا ما كان له من نخوة اهله، وكان كما قال احد المؤرخين الفرنسيين ان ذلك كان في المغرب على يد القناصل والتجار المسيحيين المغامرين المنتفعين اذ كانوا يستثمرون ابناء دينهم وابناء البلاد على السواء، وكانت فرنسا ابعد الدول هدفا، واكثرها نفودا واشدها صولة وطمعا فى استغلال المغرب تستحثها وتنصرها عصبة من التجار والماليين والسياسيين الفرنسيين في الجزائر وخصوصا في وهران القائمة عند الحدود الجزائرية المغربية.

العرائش فى عهـد الحسن الاول

وفي سنة سبعين ومائتين والف توفى المولى محمد بن عبد الرحمن وبويع ولده المولى الحسن الاولا وجلس على عرش المملكة المغربية والبلاد في احلك الظروف وفي اشد الاضطراب، فكان حبل الامن فيها كاد ان تنقطع اواصره بين اجزائه وعوامل التفرقة والانخذال متوفرة فيه، ولكن المولى الحسن رحمه الله لم ينل من عزيمته وشدته شئ من ذلك، اذ كان من اشد ملوك المغرب واقواهم روحا واجتهادا في المحافظة على استقلال البلاد، فتمكن رحمه الله بفضل حكمته وحسن سياسته ان يؤلف بين القبائل المغربية ويردها الى حظيرة الطاعة، وشمر رحمه الله عن ساق الجد فى اصلاح البلاد والسير بها في طريق الرقى والازدهار وكان لا يفتر عن الترحال والوقوف على عين المكان فكان عرشه على ظهر فرسه يتنقل بين اطراف المغرب ويسير فيه طولا وعرضا. وارتأى رحمه الله ان لا سبيل الى الاصلاح الا بالاعمال التى لا بد منها لكل دولة تريد ان تحافظ على استقلالها وسلامتها، فبدأ أعماله بتنظيم الجيش وادخل الاساليب الجديدة التى ظهرت في تلك الفترة، وبعده راح يؤدب القبائل الثائرة والمدن المتمردة، ثم توجه رحمه الله الى محاربة الجهل والجمود فجاهد فى سبيل ذلك ما استطاع اليه سبيلا، فنظم البعثات من الطلبة وارسلها الى اروبا لتعلم اللغات والفنون والصنائع المختلفة فتعلم منهم الكثيرون ورجعوا الى المغرب وهم يحملون علوما وصنائع وكان من نصيب مدينة العرائش ان ارسل اثنين من ابنائها الى اروبا، منهما السيد مصطفى الوديبى وحارب الجمود الذى كان مخيما على عقول المغاربة، فعمل على نشر العلوم الطبيعية والرياضية بين ابناء المغرب فكان يرسل علماء هذه العلوم الى مختلف المدن المغربية لتعليم كل واحد منهم ما يحسن ويحذق حتى اذا قضى وطره

وافاد الفائدة المندوب اليها رجع الى محله كما ستقف عليه، وقام رحمه الله بكل ما يطمن القلب ويهدئ النفوس باقرار الامن، افاد في ذلك ما كان له من قوة حكمه وقلبه، وبالرغم من دهاء وزيره الاول السيد احمد بن موسى، فقد كان الاجانب يمدون المتمردين بالمال والعتاد الحربى وخصوصا الفرنسيين الذين كانوا يمدون العدة لاحتلال قسم من البلاد على الشاطئ الاطلنطيكى، ووقف الاسبانيون على ابواب الريف، كل هذه الاحداث كان المولى الحسن يقاومها ويقاوم الاستعمار بكل انواع المقاومة حتى الدينية منها، قاوم رحمه الله في ميدان الحرب فرد المتمردين الى الطاعة، وقاوم السياسيين فاغتنم فرصة انهزام فرنسا فى حربها مع بولونيا 1870 فأراد ان يقصر نفوذها فى بلاده، ومن اعماله في الميدان السياسى انه سعى في عقد مؤتمر دولى لاعادة النظر فى شؤون المغرب وعلاقته الاروبية فكان مؤتمر مدريد الذى عقد سنة 1880 ميلادية وكان الاول من نوعه لاشتراك ممثل مغربى في مباحثاته، ولكن ماذا ينفع ذلك الممثل المغربى وما تنفع حنكته السياسية وفصاحته العربية وسط ممثلين لدول قد بيتت اتفاقها على خنق المغرب واستغلاله، فكان الممثل المغربى مغلوبا على امره، فمر المؤتمر وقررت الدول الاربع ما شاءت.

وكان المولى الحسن بن المولى محمد وهو الخبير بها والبصير بآفاتها يجاهدها ويناضل فى سبيل القضاء عليها، فبقى رحمه الله ايام حياته ومدة ملكه يقف في وجه العدوان والاعداء ينتقل في مملكته المترامية الاطراف المتفككة الاوشاج من واحاتها الجنوبية الى جبالها الشرقية الشمالية ومن مدينة الى اخرى، ومن جولاته التفقدية تلك الجولة التى قام بها الى قبائل الشمال المغربى من جبال الريف، فزار في اثنائها ضريح الشيخ سيدى عبد السلام بن مشيش، ودخل تطوان وطنجة ثم مدينة العرائش التى دخلها فى الحادى والعشرين من شهر صفر عام سبعة وثلاثمائة والف يوافقه سنة 1890 ميلادية، ومكث بها خمسة ايام ثم ارتحل عنها الى فاس، وقد ركز المولى الحسن بمدينة العرائش من

المشارع الاقتصادية والاجتماعية ما جعل ميناءها يدخل في عهد جديد، فنهض من غفوته ونشطت به حركة العمل وكان من امره ما جعل السفن التجارية ترد عليه وبدأت حركة الاصلاح بجد تعمل فيه لولا قيام الحرب العالمية الاولى التى أوقفت ذلك سنة 1914 ميلادية ورغم ذلك فكان من نشاط العرائش بسبب ذلك ما نذكره بعد، ولنعد الى بعض الاصلاحات المختلفة، فهذه وثيقة ارسلها الوزير الحاجب السلطانى السيد احمد بن موسى الى استاذ من اولائك الاساتذة المختصين في فن التوقيت : ونص الرسالة بعد الافتتاح: معبنا الاعز الارضى الموقت السيد محمد بوسلهام البخارى امنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد : فقد وصلنا كتابك مخبرا بقضائك الغرض الذى كلفت به من تعليم طلبة العرائش الحساب والتوقيت، وانهم حصلوا ما قرأت معهم من الكتب التى ذكرت وظهرت نجابتهم، واشتقت للرجوع لمحل خدمتك وقد كتب بذلك العامل وأجيب بأن يحسن اليك ويوجهك ليتوجه من يقرأ معهم الهندسة انشاء الله، فاقدم على بركة الله وقد دعا لك مولانا نصره الله بخير وعلى المحبة والسلام، في 29 جمادى عام 1294، كما انه كان يوزع الصناع على المدن المغربية ممن تخرجوا من اروبا وغيرها فنجد ممن ارسل الى العرائش لتعليم صنعة الزنادات السيد الحاج محمد التاغزوتى ولصنعة جعاب المكاحل السيد الحاج محمد الفيته ولتعليم الزنادات ايضا السيد ادريس الجيسى وكذلك كان يصنع بمرسى العرائش احبال القنب التي تستعمل في اعمال البحر، فمن العرائش كانت توزع على باقى مراسى المغرب، وفى فاتح ربيع النبوى عام اربع وثلاثمائة والف رتب المولى الحسن بن محمد المهندسين المغاربة ليقفوا على اصلاح الامور الجهاديه بالمراسى المغربية، فكان بالعرائش السيد ادريس بن المكى الزواوى وبأصيلة السيد الجيلالي بن احمد التروكى وبطنجة السيد عبد السلام بن مالك، وبتطوان السيد محمد بن العربي البخاري، ووظف عددا آخر من المهندسين المغاربة فى باقى المراسي المغربية كالرباط وسلا والدار البيضاء والجديدة وآسفى والصويرة، وبالجملة فكان عدد المهندسين تسعة اشخاص، وكان النائب السلطانى وقتئذ هو عامل الثغور

اذ ذاك هو السيد محمد التازى ومقره بطنجة، وكان عامل العرائش اذ ذاك السيد بوسلهام امجاو ثم السيد محمد المجبود الرباطى، اما القضاة الذين كانوا بالعرائش فى هذا العهد فنذكر منهم الفقيه السيد العربى بن احمد اليملاحي الساحلي كان قاضيا بها سنة 1306 هجرية، ولقد بذل المولى الحسن رحمه الله اقصى ما يتصور من مجهودات جبارة ومحاولات عجيبة في سبيل توطيد الامن بالمغرب والنهوض به، حرصا منه رحمه الله على جمع كلمة شعبه وتحريك عزائمه لكل عمل رأى فيه رحمه الله سبل التقدم والرقى والقوه المادية والروحية حتى تعود له تلك الهيبة التى كان يتمتع بها، فبلغ رحمه الله بعض المراد ولم يذهب عمله سدى، فكان بعض النفع، لان المشاكل التي واجهته اثر جلوسه على عرش مملكته لم تكن مشاكل جديدة اذ بعضها يرجع الى عهود سابقة كاحتلال الشواطئ الذي بدأ في أواخر الدولة المرينية وبدأ في عهده ما يجر الى الاختلاط بالاجانب من فساد الاخلاق وخراب الذمم، فكانح الوطاسيون والسعديون ما كافحوا ولم يستطيعوا ان ينقذوا من ثغور المغرب ما انقذه العلويون، ومع ذلك بقيت سبتة ومليلية تسجلان على المغرب الضعف السياسى والحربى أو بعد النظر، وكذلك تلاشى الاسطول المغربى الذى كان يقوم بخفر السواحيل ويقيم للمغرب هيبته في نفوس الاعداء، ولكن الذي زاد في الطين بلة على عهد المولى الحسن بن محمد ان المحميين شركاء الاجانب أمسوا بيد القناصل ادوات في يد المستعمرين يستخدمونهم فيما يبتغون تنفيذا لسياسة حكومتهم وتعزيزا لها، وقد استمرت الحماية الشخصية في الانتشار، فامتدت من المدن الى البوادى وصار الاروبيون - ولا سيما الفرنسيون المشاركون للاهالى - اصحاب املاك واسعة. فأشرك الفلاحون المغاربة الاجانب فى املاكهم واصبحوا ذوى امتيازات يستمتعون مثل اخوانهم التجار ويزيدون

في التمتع، وكانوا لا يدفعون الضرائب ولا يجندون ويشمخون بأنوفهم على ابناء البلاد، وصارت البلاد بلادهم، هذه هي بعض ثمار مؤتمر مدريد المنعقد سنة 1297، وبعده توفي المولى الحسن وذلك في ثالث ذي الحجة عام احد عشر وثلاثمائة والف موافق 1894، وبويع نجله المولى عبد العزيز، وخرج المغرب في هذه المرحلة من طور الى طور ومن حالة الى حالة.

العرائش فى معركة مصير المغرب

اما العرائش فمنذ تحريرها من قبضة الاسبانيين والوفود ترد عليها من كل فوج وصوب، وكل من القته الاقدار اليها لا يبارحها الا وهو معجب بحبها ومشغوف بحبها ويودان لا يفارقها ولهذا كانت ولا زالت مقصودة للسياح وغيرهم فتأسست على الانشراح من حين وضعها، وكان الاخذ بمجامع القلوب من طبعها.

وليس بها عيب سوى ان ضيفها يعاب بنسيان الاحبة والوطن

اما حياة النظام والتمدين فقد وضعت نواتها الاولى على عهد الملك المصلح ابى النصر المولى اسماعيل حيث امر باسكان اهل الريف بها عتزاما منه رحمه الله على حراستها واخراجها من طور الى طور وهذا العنصر النشيط عرف كيف يحقق الرجاء ويضع بدور الغرس والعمران فاثمرت اعمالهم ونمت وترعرت في ظل امنه الوارف، ولم تليث ان اصبحت جنات وبساتين تكتنف ضواحي الثغر مما جعله كعبة الفلاح والصانع من كل ناحية من نواحي القطر فاستقر بها السلاوى والفاسي والمراكشي وغيرهم من الجهات المعروفة بمختلف الانشطة من بناء ونجار وفلاح.

ونذكر بهذه المناسبة من حل بهذا الثغر من الافاضل في عهد الولى عبد العزيز بسبب التوظيف به او بقصد الاسطيطان: من جملتهم العالم الاديب القاضي الشهير سيدى احمد بن المامون العلوى البلغيتي احدجها جهابذة العلم بالمغرب فكان رحمه الله من المتضلعين في الفقه الاسلامي ومن المشتغلين بالادب منذ الصبا وكان شريف النسب والنفس وعلو الهمة تولى التدريس بجامعة القرويين مدة طويلة من الزمن ثم تولى القضاء في عدة مدن مغربية، منها توليته القضاء بالعرائش سنة 1326 هجرية ثم عاد الى قضاء الصويرة في نفس السنة، ومن شعره في

مرسى العرائش قوله في قصيدة طويلة منها :

بمرسى العرائش ما يشتهى ... وان غبت عنها تشوقتها
بروضتها علم قد اضاء ... ضياء المصابيح ان رمتها
فتلك جليلة آمنة ... فيا فوز من نال زورتها

وقوله في شرف النفس وعلو الهمة من قصيدة له :

أبت همتى الا المعالى دائما ... وراثة نفسى من جدود ومن أب
فان عن في نهج المناصب ذلة ... تنكب ذاك النهج حفظا لمنصبي
فتاتى المعالى نحو بابي سريعة ... وادرك منها وفق قصدى ومطلبي
اذا لم تكن نفس الشريف شريفة ... فما شرف الاجساد عندى بنسيبى (1)

وممن حل بهذه المدينة ايضا الشاعر الجزولى احد فحول شعراء المغرب الذى يصح ان يطلق عليهم لفظ الشارع بحق وهو السيد محمد الجزولي الرباطى، ولي وظيفة العدالة بالعرائش سنة 1333 هجرية ثم كاتبا اولا بالمحكمة العليا - بالرباط ومن شعره قوله :

يا امة رقدت في كهف غفلتها ... متى يهب من الاحداق غافيها
طال المنام بكم حتى تقدمكم ... من كان قبل ضعيف الحال واهيها

وفي سنة 1927 كان قاضيا بها الفقيه السيد محمد بن الطيب بن سودة الفاسى ثم تولى بعده سنة 1928 القاضى اليملاحى السيد العلمى بن احمد بن الحاج العربي وفي سنة 1332 هجرية كان قاضيا بها السيد احمد بن يوسف الفاسى.

وممن تولى القضاء بالعرائش الفقيه الشهير السيد احمد الشريف العمراني الغمارى ثم انتقل منها الى تطوان كان قاضيا بالعرائش سنة 1335 هجرية 1916 ميلادية.

وممن كان بالعرائش الاديب الفقيه السيد محمد بن عبد القادر بن موسى المراكشي، فقد عين رحمه الله بالعرائش امينا لصندوق الديوانة سنة 1340 هجرية، ومن العرائش انتقل الى تطوان فعين وزيرا

للاحباس ومن شعره قوله يساجل فيها الاديب عمر القباح حينما زاره بالعرائش قال :

بشاعر العصر اضحت دولة الادب ... مهتزة العطفين بالعجب والطرب
رب القريض ومن تعزى مناقبـة ... الى العلا والى القباح في النسب
طوى السباسب حتى زارنا فرأت ... فيه العرائش شخص الفضل والحسب

وهى قصيدة طويلة اجاد فيها ما شاء له، وهو ينتمى الى اسرة مراكشية تابع دراسته بكلية ابن يوسف ثم القرويين بفاس، واخذ عن مشايخ المغرب الى ان كون شخصيته وتمم ثقافته فرحل الى شمال المغرب واستوطن العرائش ثم تطون وكان امر الديوانة فى المغرب اذ ذاك لا يسند الا لمن توفرت فيه شروط وكانت له اعتبارات مقدرة تولاها رجال منهم السيد احمد بنيس كان امينا للدوانة العرائش سنة 1914 ومنهم السيد محمد بنجلون التويمي الفاسي، كان امينا بها فى هاته الحقبة من الزمن ومن عدول الديوانة الفقيه الحاى الفاسي والعدل الفقيه الفزارى ومن الامناء السيد بنعبد الله الفاسي وقد سبق الكلام على بعض الامناء الذين مروا بدوانة العرائش فى مختلف العصور، وكان ثغر العرائش من ابرز ما تهتم به الدولة حفاظا على مركزها وارتفاعا لشأنها ونظرا لاحداثها التاريخية جعلتها الدولة فيما سلف من العصور مركز العمالة ممتدة النفوذ الى احواز فاس الامر الذى يعزز كيانها ويشدد ازرها وكانت الدولة طيلة عهد الاستقلال الاول بها توعز لاسر بارزة فى العلم والشجاعة والنجدة من مختلف مدن المغرب وقراه بالقدوم الى العرائش والمقام بها ليتقوى الجانب الدفاعي عن حوزة الوطن اذ كان هذا الثغر فى نظر الاجانب يسارى المغرب كله نظرا لموقعه الاستراتيجي وجلب اليه الملوك العلويون عدة حربية كبيرة وجيشا عرمرما .

ولا زالت بقايا هذه الاسر معروفة بمميزاتها الى حد الساعة كما استوطنها ايضا عدد من اليهود فى مختلف العصور ولا سيما اوائل هدا القرن فقد قدموا اليها من مختلف انحاء المغرب وبعد الفتح جعلها المولى اسماعيل مركزا من مراكز القوة والحكم اد جهش فيها جيشا لحمايتها

ورتب فيها حامية وعمرها بما تحتاج اليه فنصب حكاما بها وجعلها مركز الحكم فى الناحية وكان حاكمها القائد احمد الريفي الذى باشر الفتح فبقيت فى يده الى ايام المولى عبد الله، اما القضاة فكان من جملتهم ايام المولى اسماعيل الفقيه الجليل القاضي السيد محمد بن قاسم بن زروق الذى بدأ قضاءه بها سنة 1130 هجرية موافق 1717 اما فقهاء العرائش فكان منهم ايام المولى احمد بن اسماعيل الفقيه ابو عبد الله محمد بن بجة الريفي ثم العرائشي كما ذكره الناصرى فى الستقصاء والفقيه المذكور هو الذى تصدى للرد على السيد عمر لوقاس التطواني حيث هجا الريفيين فى قصيدة فخرية انشدها وهو في نشوة الانتصار الذى حالفه فى الحرب مع اهل الريف في معركة وقعت بين جيش لوقاش وبين اهل الريف فى تطوان يقول عمر لوقاش في مطلعها :

بلغت من العلياء ما كنت ارتجى ... وايامنا طابت وغنى بها الطير

ثم قال :

ودولة اهل الريف حتما تمزقت ... فلم يبق بالتحقيق عندى لها خبر

وهى قصيدة طويلة :

اجابه عنها الفقيه المذكور من العرائش يقول في اولها :

في صفحة الدهر خطت لنا عبر ... منها ادعاء الحمار انه بشر

من مرعنه الصبا وما رأى عجبا ... خبره بعجاب دهره الكبر

والقصيدة طويلة ايضا فما يجب الانتباه اليه ان العرائش منذ ان حررها المولى اسماعيل من قبعة الاسبانيين وهى في رعاية الملوك العلويين فعملوا منذ ذلك الحين على تعميرها وجلب عدد من اهل العلم والمروءة اليها وامروا اهل الثقة، باستيطانها وتجرى لهم الجرايات وتمنحهم المنح السنية ترغيبا لهم في سكناها. كما ان كل من قدره له ان يستوطن العرائش لا يرى بدا من ربط صلاته برجال القبائل المجاورة لها، والتى لم تأل جهدا في حمايتها .

العرائش في عهد المولى عبد العزيز

فى ولاية هذا السلطان وحوالى سنة 1907 م. كان التكالب الاستعمارى فى اوجه، وكانت ثغور المغرب كلها مبعثا للخوف والقلق، فاقتضت رعاية رئيس الدولة اذ ذاك ان يعين عاملا على العرائش بطلا من سلالة او لئك الابطال الذين باشروا عملية ارجاعها الى حضيرة الوطن، هذا العامل هو السيد محمد بن عبد الصادق الريفى الطنجي، المنتمي للاسرة المعروفة بولايتها للعرش العلوى وخصوصا فى ذلك الظرف الذى كتنت ساعاته من ساعات المحن، وكان الجو بالمغرب اذ ذاك مكهربا من آثار الثورة المصطنعة التى تولى كبرها الجيلانى الزرهونى المدعو بوحمارة، معززا باليد السوداء الممتدة من طرف بعض الدول المتكالبة على خير المغرب وسيادته، فى هذه الفترة العصيبة اقتضت حكمة ملك المغرب ان يولى عنايته لثغر العرائش ؛ اهتماما بشأنه وتقديرا لوضعيته الخاصة، وهو ثغر اقلع من بين اضراس عدو غاصب كما يقع العلق من حلق الكلب، فاختار دولة من الدول التى كانت اقل طمعا واكثر تأثرا بضياع سيادة المغرب ووحدة ترابه والتي كان المغرب مقأثرا الى حد بعيد وهو في اعنف الشدائد واقساها ببعض مواقفها المعتدلة من قضيته وخصوصا من اقرار ملكها غليوم بسيادة المغرب واستقلاله، في خطابه التاريخي بطنجة، ومن حكمة سياسة المولى عبد العزيز ان اختار هذه الدولة تقديرا لاعتدالها، وعملا بالقاعدة النفسية المعروفة، جلبت النفوس على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها، فعمد الى شركة المانية وعهد اليها باصلاح ميناء العرائش وتجهيزه بما هو فى حاجة اليه، ليصبح صالحا للتصدير والتوريد، وايثارا لمدينة العرائش على غيرها من شواطئ المغرب للدواعى السابقة، ولقربها من باب القارة المجاورة، والمنفذ الحيوى للقطر، لكن الرياح جرت بما لا تشتهيه السفن على عادتها، اذ لم تلبث الحرب

العالمية الاولى ان اندلع لهيبها وتجاوبت اصداؤها، وفي هذه الفترة ما بين 7-14 ميلادية من القرن الحالي لعبت العرائش دورا ليس بالهين، وتوالى على امانة مرساها افواج من المع الشخصيات المغربية واقواها ثقة وبروزا.

فمن سكن العرائش قديما وكان من سكانها الاولين اسرة ازطوط وهي اسرة عريقة في العلم والسياسة ظهرت بالعرائش منذ عهد المولى محمد بن عبد الله وقد تقلد رجال هذه الاسرة قضاء العرائش ورئاستها منذ ما يزيد على قرن ونصف كما سبق الكلام على بعض رجالاتها وآخرهم الفقيه الاديب قاضي العرائش السيد عبد السلام بن علي ازطوط المتوفى سنة 1958 م. ومن سكانها الاصليين اسرة التالونيين وهي لا تقل مكانة وحظوة عن اسرة ازطوط وتكاد تكون شيلها في العمل والزمن والمكانة وقد سبق الكلام على بعض من تقلد امر هذا الثغر وممن لهم القدم في سكنى العرائش اولاد العسرى الفيجيجي دفين اولاد عمران قرب عرباوة وينتسبون ايضا الى ضريح سيدى هلال بن احمد الذى توجد روضته على شاطئ البحر بالعرائش ومن السكان الاقدمين بالعرائش اولاد مصباح الذين ينتمون الى القائد الجلالي بن عبد الله دفين مولاى بوسلهام ولهم اضرحة مزارة بالعرائش منها ضريح سيدى الطيب المصباحي وضريح السيدة منانة المصباحية وضريح السيد العربي المصباحي ومولاى الطيب والزاوية المصباحية التى هى الان مسجد تقام فيها صلاة الجمعة بالمدينة القديمة.

ويوجع تاريخ استيطانهم بالعرائش الى عهد المولى محمد ابن عبد الله على ما يصرحون به كما توجد اسر اخرى سكنت العرائش قديما وجلها من اصل ريفي كاولاد البطيوى واولاد التوزاني واولاد اجزناى واولاد بوصابون واولاد المزورى منهم الفقيه العدل السيد محمد بن عبد القادر المزوري المتوفي 14 يناير 1958 واولاد الناظر ومن غير هؤلاء اولاد الكوش واولاد النجار واولاد بوحسينة واولاد ابن زروق منهم الفقيه الموقت الشهير السيد عبد السلام بن زروق الذى ذكره صاحب رياض الجنة فتكلم على حياته وعلى نسبه وجعله من البلديين

العرائشيين وممن سكن هذه المدينة في اقدم العصور اسرة الاشراف القادريين ينتسبون الى جدهم الشيخ عبد القادر الجيلالي رضى الله عنه ومن الاشراف العلميين الذين سكنوا العرائش قديما اولاد الحراق الموسويين قدموا اليها من قبيلة آل سريف فقد برزت فيهم شخصيات في العلم والفضل والوجاهة ولا زالوا الى الان ومنهم القاضي الفاضل السيد محمد ج. الراضي الحراق الذى تدين له المدينة بخدمات جليلة رحمه الله، وشقيقه الفقيه الناسك السيد احمد الحراق عمل ابوهما الفقيه ج. الراضي الحراق محتسبا لمدينة العرائش ما يزيد على 30 سنة ومن الاشراف الذين سكنوا مدينة العرائش اسرة اليملاحين العلميين ابناء سيدي يملاح بن مشيش الاخ الاصغر للشيخ سيدي عبد السلام انتقلوا اليها من خميس الساحل الذى يقرب من العرائش ببضع عشر كيلومتر وهى اسرة محترمة تعاقب الافاضل من علمائها على قضاء العرائش واعمالها وعلى الخطابة في مساجدها وعلى الافتاء بها وباعمالها ادركنا منهم قاضي الناحية السيد احمد بن على اليملاحي وقاضي القصر الكبير السيد العياشى بن محمد اليملاحي وتقدم الكلام على البعض من رجال هذه الاسرة في محله كما كان بهذه المدينة اسر لم يبق منها الا اسماء سميت بها شوارع المدينة القديمة التي كانت مقر سكناهم كشارع الحرثى والرزامي والعياشى، ثم التحقت بهم جماعة اخرى سكنت هذه المدينة في مختلف العصور وهى سنة الله في الخلق، فقد جعل الله الا هواء مختلفة والطباع متفاوتة وحيب لكل عبد من عباده ما يسره له وهو تعالى جلت قدره لم يعر بلدة من مزية يتعلل بها عمارها حتى لا يتركوها، كذلك لم يحل بقعة من بقاع الارض من فضل ومن مزايا وجمال، فقد اعطى الله لهذه المدينة موقعا جميلا ومناخا بالفه ساكنوها ومناظير جميلة خلابة فتانة ورحاب فسيحة وطرق نظيفة تتشابه في تنميقها

المطرب مع جميع ثغور المغرب الوطن الحبيب وهناك اسر اخرى سكنت هذه المدينة قديما كاولاد ابن الفقيه والنجار والشوبردى والطرابلسى وبورباب والجبارى منهم الفقيه السيد محمد بن احمد درس بالقاهرة ثم رجع الى المغرب وعمل في حفل التعلم الى ان توفى رحمه الله ومنهم العدل السيد احمد بن محمد الجبارى خرجوا اليها من الساحل.

العرائش في قلب المعركة

اصبح المغرب في الارجوجة فى بين سنة 4-1906 وخطت في جانبه الحربى والعسكرى لم يكن يعازب عن ادقان دهاقنة الاستعمار، فبموجب اتفاق ثنائى بين فرنسا واسبانيا في سنة 1904 وضعت تحت النفوذ الاسباني منطقة الحماية الاسبانية وعاصمتها تطوان، وبموجب معاهدة مدريد المبرمة بين فرنسا واسبانيا في 27 نوفمبر سنة 1912 وضعت منطقة طرفاية تحت النفود الاسباني وضمت الى شمال المغرب ورغم هذه المؤتمرات التى كانت تعقد والاتفاقات التى كانت تبرم بين الدولتين الاستعماريتن فالمغرب لم تلن قناته ولم يسلم امره اليها مجانا وبدون قتال، ففى شهر يوليوز سنة 1909 بدأت هذه الحرب الطويلة بين المغرب واسبانيا ولم تنته الا في اليوم الثاني من شهر اكتوبر سنة 1927 وظهر في هذا الحرب ابطال مغاربة في الريف والجبال وكانت معارك ذاق فيها الاسبانيون الامرين فان المغاربة في هذه المنطقة وفي المغرب كله كان ينطبق عليهم في تلك الحروب قول الشاعر الوزير محمد عريط حيث قال يحرض على الجهاد:

موتوا كراما فان الحرب انفع من ... معيشة تدع الحليم حيرانا
لاموت افضل من موت الجهاد لمن ... يرجوا من الله رحمة ورضوانا
ان تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا ... ولتخلعوا في ابتغاء القوم انسانا
وكل ذى همة يستعذب الموت فى ... ما يرفع القدر في الدارين والشانا

وفى هذا الوقت المظلم كانت فرنسا تصفى خلافاتها مع الدول لاخلاء سبيلها في المغرب كما كانت من جهة ثانية تشد الخناق على الشعب المغربي من الحدود الجزائرية بواسطة اسطولها الحربي وبجواسيسها المنبثقة في كل اطراف المغرب حتى يسهل عليها احتلال البلاد ورغم كل هذه التضيقات الحرجة تمكن المولى عبد العزيز من عقد مؤتمر

بالجزيرة الخضراء اشتركت فيه 13 دولة صدرت عنه فى 17 ابريل سنة 1906 المعاهدة التى ضمنت للمغرب ثلاث قضايا اساسيـة (1) الاستقلال (2) وحدة التراب (3) سياسة الباب المفتوح وقد وقعها باسم المغرب المولى عبد العزيز، وبالرغم من اهمية هاته المعاهدة وضمانها للاستقلال المغرب ووحدة ترابه فان الشعب المغربي قابلها باستياء كبير لانه رأى فيها بعض التنازل عن سيادة المغرب مما ادى الى الثورة التى قادهـا المولى عبد الحفيظ وانتهت بخلع المولى عبد العزيز واعتلاء المولى عبد الحفيظ على العرش العلوى ومع هذه الاحداث العظيمة كان الحرب سجا لابين المغرب واسبانيا في الشمال وبين المغرب وفرنسا فى الجنوب كما تقدم ذكره.

وفي 8 يونيه سنة 1911 كانت الجيوش الاسبانية قد نزلت بالعرائش تحت قيادة الجنرال سبسترى، وبعد العرائش انتقل الجيوش الاسبانية الى مدينة القصر الكبير.

اما المولى عبد الحفيظ فقد فضل التنازل على العرش معلنا انه كان ملكا للاستقلال وانه لا يستطيع ان يكون ملكا للحماية وقع المولى عبد الحفيظ عقد الحماية في 30 مارس سنة 1912 وكان لايد من قبول عقد الحماية لكن مقتضى المفاهيم القانونية والاعراف الدولية فى مدلول الحماية لم يقبلها عقل المغاربة فكان لاعلان الحماية رد فعل قوى في نفوس المغاربة وحدث عنه حوادث عظيمة فى مختلف انحاء المغرب وكان لذلك بصفة خاصة انه وقع تنازل بصفة رسمية من المولى عبد الحفيظ يوم الاثنين 18 شعبان عام 1330 موافق 12 غشت سنة 1912 وتولية المولى يوسف

اما مدينة العرائش اذ ذاك لم تكن مدينة مهملة بل كان لميناءها شأن عظيم من الايراد والتصدير رغم ان نسبة السكان فيها اذ ذاك كانت ضئيلة ففى سنة 1927 وهى السنة التى انتهى الحرب فيها بين الاسبانيين والمغاربة فى شمال المغرب كان مجموع السكان فيها 1658

انسمة فيهم من المغاربة المسلمين 7047 فرد ومن اليهود 2162 يهودى من الاسبانيين 7062 اسباني ومن الاجانب الاخرين 217 فرد وعمرانها كان محصورا في المدينة القديمة ويدعى الاسبانيون ان وجودهم فيها يبتدئى من سنة 1610 ميلادية موافق 1019 هجرية. اى وقت اخذها من يد الشيخ السعدى.

العرائش بعد الحماية

اقترن عهد الحماية بتنازل المولى عبد الحفيظ لاخيه المولى يوسف الاب المباشر للملك الصالح محمد الخامس رحمه الله وكان من مقتضيات الحماية ان يقام بالشمال خليفة سلطاني يتولى النيابة عن السلطان بنوع من التفويض فاختير لهذه المهمة الامير مولاى المهدى ابن اسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن رحمهم الله جميعا وسرعان ما انقلب مدلول كلمة حماية الى حكم مباشر فتضايق سكان المغرب وفى طليعتهم اهل القبائل واعلنوا معارضتهم وتمردهم على الحماية ومن ذلك الحين انطلقت الشرارة الاولى من نار الحرب بين المغاربة والمستعمرين الفرنسيين والاسبانيين واندلعت نيرانها تكتسح جميع القبائل المغربية فكانت المقاومة الصريحة وجها لوجه وظهر فى ميدان المقاومة رجال افذاذ قاموا بواجبهم نحو وطنهم ودينهم.

فما كان من الاسبانيين الا ان جعلوا من ثغر العرائش مركزا حربيا تمون منه جيوش الاحتلال التى كانت تقاتل فى غربى شمال المغرب وتلتقي بجيوش أخرى كانت تخرج من مدينة سبتة ففى هذين المركزين كانت الجيوش الاسبانية توضع الخطط والتدابير لاخضاع زعماء القبائل فنصبوا فى العرائش حاكما عسكريا وآخر مدنيا، وعمدوا الى تطويق السلطة المغربية فحصروها فى نطاق المدينة على صغرها واصبح نفوذ السلطة المدنية (باشا) العرائش لا يتعدى نفوذه صوت المؤذن، اما سلطة الحاكم العسكرى والمدني الاسباني فامتد الى جهات مترامية الاطراف الى ما نسميه الان باصيلة ودائرتها والقصر الكبير ودائرته.

وهذا الوضع الذي كان المستعمر قد اختاره لمدينة العرائش لم يكن فى شتى الا لامر اراده المستعمر لها لم تسمح الظروف بتطبيقه بحوافره الا ان بوادره ظهرت فى ميادين شتى منها ان المستعمر

عمل على قتل معاني الحيوية والنشاط الاقتصادى فى نفوس سكان هذه المدينة، ومنها انه ساعد بكل ما لدين من قوة على انطلاق يد الاجانب الاسبانيين وغيرهم واليهود على جمع كل الثروات التي تحرز عليها مدينة العرائش وجعلها مرتعا خصبا للضيوف الاجانب حتى اصبحوا فيها سادة مسودين بيدهم المال وهم رجال الاعمال وليس على غيرهم تعلق الامال اما المغاربة اهل البلد فعمل المستعمر على اثباط عزيمتهم وابقائهم غير قادرين على النهوض بمستواهم سواء حيث التثقيف او الوعى بما يدور حولهم من تقدم ونمو، ومن المساعدة والعون على ما يدفع بهم الى مستوى المعرفة والقدرة على النهوض بحالهم ثم ان عدد المغاربة في العرائش اذ ذاك لم يصل الى عدد الاسبانيين والاجانب واليهود الذين كانت الفرق الثلاث يفوق عدد افرادها عدد افراد المغاربة المسلمين فى العرائش والمساعدة كلها لهم الابناك ودور السلف والتسهيلات الكافية متوفرة لديهم ومحجرة على المغاربة الا بعض المحظوظين منهم.

عهد الخليفة مولاى المهدى

في مطلع عهد الحماية كان المتفق عليه كما تقدم ذكره ان يقام بالشمال خليفة سلطانى مفوض يمارس مهام رئيس الدولة المغربية في المنطقة ففي 12 من ربيع الاول عام 1331 هجرية موافق فبراير سنة 1913 وقع تنصيب المولى المهدى بن اسماعيل العلوى خليفة للسلطان بمنطقة الشمال والصحراء المغربية وهى افنى وطرفاية وآيت ابا عمران واقليم الناظور واقليم الحسيمة واقليم تطوان اما العرائش التي هى فى اقليم تطوان فان احتلالها كان ممن انصرفت اليه عزيمة الاسبانيين لانها العرائش التى يقترن تاريخها بذكريات عظيمة بالنسبة لهم فما وسعهم بعد ان وطدا واقوامهم بها الا ان يستصدروا عدة ظهائر خليفية تطلق لهم آليد فى اقامة ما تحسن اقامته وفى ذلك الوقت بدات الظهائر الخليفية والقرارات الوزيرية تصدر فى المنطقة. فصدر ظهير شريف يأذن ببناء مستودع لمياه الشرب المجلوبة من سخسوخ وهو محل يبعد عن العرائش شرقى جنوبها بنحو العشرة كلم، وهذا الظهير مؤرخ بـ 4 صفر 1337 هـ 11 نونبر 1918 م، كما انشئ بهذا التاريخ خط حديدى يربط طنجة بفاس، بعيدا عن العرائش بنحو الاربعين كلم، ووقع الشروع على الفور بتحديد الاملاك المخزنية وحيازتها من طرف ممثلى السلطة فحدثت بسبب ذلك ضجة بين الاهالى وتلافيا لما عسى ان يحدث صدر قرار وزيرى مؤرخ بـ 22 ربيع 1337 هـ 25 يناير 1919 م. موقع عليه من طرف الصدر الاعظم الفقيه السيد محمد بن عزوز يعين بموجبه اعضاء من اهالى العرائش ليراجعوا مطالب الاهالى، وصدر ظهير آخر تنشأ بموجبه اول مدرسة اسبانية بالعرائش، كان النصيب الاوفر فيها لابناء الاعيان والمحظوظين، ومن نهاية الحرب العالمية الاولى بدأت علائم التآمر على مرسى العرائش تظهر واخذ ظل النشاط فيها يتقلص

رويدا رويدا الى الان، وانقلب النشاط الى تشجيع حركة الهجرة ودعم يدها العاملة وتكوين رأسمالها الذى انقسم بين الاسبانيين واليهود.

وهنا انطلق الشيطان اليهودى من قمقمه وعمل عمله لاكتساح ما شاء له من اراضى حتى اصبحت جل القطع الارضية الكبيرة بيد اليهود والاجانب.

الحـــالـة الاقتصـاديـة

يكون الرأسمال الاجنبي بالعرائش 99 %، ويقع رواجه فى اهم المنشآت والمعامل الكبيرة، فهناك معمل للتصبير يتناول الطماطم والفلفل والسمك وهناك معمل للحلفا ومعمل لتعبئة الحوامض والمعمل الافريقى للصيد والملاحة، وشركة الابيض المتوسط للتعبئة والتمليح، وشركة ايماصا لصنع الفواكه والحوامض وغيرها .

وهذه مبالغ باهرة تروج داخل العرائش وليس فيها الا الحظ الضئيل للمغربى، وهذا المبلغ جعل المدينة تستحق الدرجة الثالثة فى فرض الضرائب الكثيرة دخلها ووفرة ارباحها، وقد امتدت خيوط هذه الظاهرة فظهر اثرها فى عهد الاستقلال وفى الحياة الاقتصادية الى اليوم، فقد صادف عهد الاستقلال بهذه المدينة التي اصبحت فيها جل الاراضى والبنايات الضخمة والممتلكات الثمينة بيد الاجانب نتيجة للحرية الاقتصادية الواسعة التى عاشوها طيلة عهد الحماية، وعندما تقرر توحيد العملة وادماج اطارات الدولة فى سائر اطراف المملكة، شعر بعض الاجانب الذين تأثروا من احداث الاستقلال وكانت ظنونهم سيئة بالمغرب وحكومته الوطنية، ببعض المضايقة والقلق، وفقدوا بطبيعة الحال جزءا غير يسير من حرية اليد وامتداد السلطة المطلقة، كأثر انتهاء عهد وحلول عهد آخر، فاعتزموا نقل اموالهم الى حيث يجدون ما فقدوا (وما هم بواجديه) واسرعوا الى تفويت املاكهم، في وقت كانت حكومة المغرب تمنح الموظفين المندمجين في اطر الدولة مبالغ مستحقة لهم قانونيا، فانهالت هذه المبالغ وتسربت بصفة آلية الى حسابات الاجانب في الابناك والمصاريف، دون ان يظهر لها اى اثر فى الاوساط الاقتصادية المغربية، وما فضل عن الاجانب، استكمله اليهود المغاربة الذين غادروا المغرب الى الخارج، للحاجة التي كانت فى نفس يعقوب... فنشأ عن

ذلك ركود في حركة البناء والتعمير، بحيث اذا قورنت هذه الحركة في العرائش بحركات البناء والتعمير في المدن المغربية الاخرى لم تكن شيئا يذكر، فلا تاجر ولا صانع ولا عامل استفاد من الاموال التي اغدقها عهد الاستقلال على الموظفين المغاربة، مع العلم بأن محور الاقتصاد والتجارة لا زال جله بيد اهله الذين سبق ذكرهم، حتى انه رسخ في بعض الاذهان المحلية ان الحياة الاقتصاديه بالعرائش مرتبطة ببقاء الرأسمال الاجنبي، كما تعلق طائفة اخرى من السكان آمالها في ازدهار الاقتصاد على اصلاح الميناء لاعتقادها ان البحر هو المورد الاساسي في حياة المدينة، والمفهومان معا، يقتضيان ان كل آمال الانسان في العرائش معلقة على الميناء والراسمال الاجنبي، كأن الله لم يخلق مجالا للرزق، وكان قوله تعالى : « ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش »، لا تعمهم ولا تعنيهم، وفي الحقيقة ان اصلاح الميناء تعلق عليه آمال طوال لا عند السكان فقط، بل حتى عند اهل الناحية.

والذي يظهر هو ان العرائش تشتكي من الهجر والهجرة معا، فهي مهجورة من طرف رؤوس الاموال بسبب الزمام الاقتصادي المقبوض عليه بيد من حديد، والمحاط بقوة هائلة من الاحتياطات والاستعدادات، وذلك للمكانة التي تحتلها العرائش من نفوس الذين غادروها وتركوا اخلافهم على خزائنها، ومن جهة اخرى مشكلة الهجرة التي تواردت عليها من طرف الذين لا يملكون الا سواعدهم وقوة عضلاتهم، ولا جدوى لوجوه احد الشقين دون الاخر، فأحدهما سلبي والاخر ايجابي، ولا حياة بدونهما معا، ويمكن ان نقول ان هجرة الرجال الابطال اليها وجعلها كعبة قصدهم، يرجع الى تاريخها كثغر تجب حمايته وتحصينه، اما اليوم فهو غير الامس، ومن الجدير بالذكر ان نبين ما تنتجه العرائش في الحالة الراهنة فقد حققت مراكز تعبئة الحوامض بالعرائش محصولا سنويا بلغ في سنة 1973 - ما قدره 3.194.520 درهم بتعبئة 15.202 طن من الحوامض ويعمل في هذا القطاع 287 عاملا اما التوابل والفلفل الاحمر فتتركز هذه الصناعة في العرائش ويصل انتاج هذه

المادة الى 2500 طنا فى سنة 1973 وتبلغ نسبة تصديرها الى الخارج 6425 %

وفي العرائش توجد مؤسسة التجهيزات البحرية وهى الوحيدة من نوعها فى الاقليم كما توجد بالعرائش صناعة الثلج بلغ الانتاج فى سنة 1973 ما قدره 130.000 قطعة حيث يوجد بمنائها اسطول الصيد.

وتتركز صناعة تصبير الخضر بالعرائش اذ بلغ في سنة 1973 تصبير 5000 طن من الخضر المختلفة ومحصول سنوى بلغ 26.968.449 درهم.

بعد حرب القبائل

كانت سنة 1927 قد وضعت فيها نقطة تحول في اعمال المقاومة المغربية، حيث تبلورت في اذهان شباب المغرب قضية المغرب واحدثه، وتكونت لهم عن المغرب ومعركته نظرية محدودة المعالم معروفة الاسباب والدواعي وادركوا بتقصيهم لظروف المعركة وملابساتها، مواطن الداء واستشعروا ضرورة الدواء، وانضاف الى ذلك ما صار في سبيله الحماة من سير مخالف كل المخالفة لمفهوم «حماية» وكانت ثورات القبائل قد احدثت صدى بعيدا في الشرق والغرب، وكسبت في اوليتها في العالم الاسلامي رأيا عاما يناصرها ويحدب عليها، وفي الغرب كذلك رايا عاما يهتم بها ويفسر مغازيها ويحاول استغلالها نسبيا لفوائده وتحقيق آماله، وكذلك هي الحالة في هذا العالم كما يقول الشاعر المتنبي :

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

فأخذت الوشائج ترتبط بين بلاد العروبة شرقها وغربها، وصارت وضعية المغرب محط انظار المفكرين والكتاب العرب، وحياة المغاربة محل تعليق من جانب الصحافة والاندية في البلاد العربية.

كان هذا في الحقيقة دخولا جديدا بالقضية المغربية الى المعترك السياسي بعد ان مرت مرحلة الحديد والنار بين جيوش الاحتلال ومقاومة الابطال في قمم الجبال، فلم ير المحتل بدا من التفكر في ما يثبت اقدامه ليحقق احلامه فبالامس كان السيف واليوم اصبح السيف قلما.

دور التخدير والمخاتلة

قررت اسبانيا احداث ميدالية صلح المغرب، واحتفلت بالقصر الجديد الذى بنى على طراز مغربي قرب دار المخزن بالعرائش، والذى اقيم على بقايا آثار الدولة السعدية، ففي سنة 1925 أسسوا القصر الجديد المغربي الشكل فوق بقية من السور القديم وكان يوجد على جداره قبل هدمه ما لفظه : وفى هذه البناية كانت ثكنة الشرطة الشريفة فرقة سادسة ثم صار للشرطة الاهلية وبعد ذلك صار للمراقبة الحربية، وشرع في بناء الثكنات العسكرية على اختلاف انواعها، واقامة العمارات لسكنى ضباط الاسبان، وفي يونيو 1928 دشنت مصلحة البريد والتليفون بالعرائش ووضع الحجر الاساسي لبناء مركز الاشغال العمومية، ووصل الماء العذب الى الاحياء القديمة، واقيمت القنطرة الحالية على مصب نهر لوكوس، وفي سنة 1931 صدر ظهير انشاء الجمعيات الخيرية الاسلامية فأسست في العرائش كسائر مدن المنطقة وانهالت على المنطقة عموما وعلى العرائش بصفة خاصة سيول المهاجرين الاسبان يتولوا زمام الحركة الاقتصادية، واطلقت لهم الايدى بكل معانى الحرية فأخذوا يقيمون المنشآت الاقتصادية على انقاض ما بنته العناصر النشيطة التي تواردت على الثغر ايام العهد العزيزى، فقد ائتلفت في هذا العهد مجموعة من العناصر المعروفة بنشاطها الاقتصادى من اهل فاس واهل سوس، وكونت في هذه البلد رواجا اقتصاديا امتد اثره الى ابعد الحدود، ولكن الاسبانيين المهاجرين جعلوا همهم الوحيد هو القضاء على هذه العناصر تدريجيا، والاستيلاء على جميع الامتيازات الهامة، فبعد ما كان الاقتصاد يقترن بأسماء مغربية منها الحلو، ابن كيران، ابن موسى، الحبابى، ابن عمير، برادة، ابن المليح التازي، بولعيد، بنيس، المريني، اصبح بدلا من ذلك الاسم لوكوس، كيكو، كبارة، كرانسة الخ. وبهذا زالت التجارة والفلاحة والصناعة من يد المغربى

وحلت بيد الاجنبي.

وهكذا فتحت في وجه المهاجر ابواب المساعدات بمختلف اشكالها من مادية ومعنوية، حيث استطاع ان يلقى على آخر رمق من الامل في الحيـاة الاقتصادية، واصبح الانسان العرائشي بحكم هـذه المؤثرات لا يرى منفـذا للرزق ولا مصدرا يستورد منـه الا المرسى فمهما سألـت العرائشي وطلبت منه ان يفكر في مخرج من الازمة الا وبادرك بأن لا شيئ سوى المرسى، وما ذلك الا ليأسه من اسباب المعاش، وابتعاده عنها الى ان اصبح يعتقد انه لا صلاحية له الا للخدمة في المرسى، وما سوى ذلك فهو من اختصاص غيره الذى له المال والتجربة التجاريـة، وقد بدأت هذه الفكرة تزول من نفوس العرائشيين بسبب رفع الحصار الذى كان الاستعمار قـد ضربـه على العرائش خصوصا وعلى منطقـة الشمال عموما بأن كان جلهم لا يعرف غير العرائش، او ما يقرب منها من مدن الشمال وقراه.

العرائش بعد الاستقلال

جاء عهد الاستقلال، وهو عهد يذكر بالامجاد، ويحيى عهود الاباء بالاجداد، فكانت العرائش من المدن التي تحرك حظها مهتما بالنهوض من مرقده ليعود الى الظهور على مسرح العهد الجديد، فقررت الحكومة جعل مدينة العرائش مركزا لعمالة من عمالات المغرب، وعين على رأس هذه العمالة عامل لم يلبث ان نقل الى مركز آخر ولم يعوض بغيره، وكان من المعتقد ان الحكومة المغربية ارادت ان تعيد للعرائش سابق عهدها، فتصبح منطلقا هاما تنطلق منه خيوط الحياة السياسية والاقتصادية وتستفيد لنفسها من هذه الخيوط ما شاء الله من كسب مادى وادبى، ولكن المثل المغربي يقول : السر في الساكن لا في المسكن، فلم ندر ولا الطبيب يدرى لماذا اختير لها من جديد النظام الذى اختاره لها غاصبها المتخلى عنها ذلك النظام الضيق المنعزل عن جيرانه، الا ان بوادر التمركز في مدينة العرائش بدأ يظهر من جديد في عهد جلالة الحسن الثاني ادام الله ملكه، وكل املنا ان يكون موقتا هو بدوره ايضا ولا جل مسمى فنرى العرائش تلبس ما يكمل جمالها وينسخ منها ما شانها فتستحق من المكاسب التى هى قيم الاعمال ما يناسب اسمها وما يلائم موقعها لتضاهى بذلك غيرها من مدن الشاطئ الاطلنطكى الا اننا لا ننسى ما ابرز في هذه المدينة الجميلة من مظاهر التقدم والازدهار في هذا العهد السعيد من تنظيم في عمرانها وتنظيف لشوارعها وساحاتها ورقى اهلها وسكانها فقد ازداد عمرانها بازدياد الاعمال في شؤون اقتصادها واجتماعها وثقافتها فكثرت اقواتها وازداد ترفها وهاهى الان اصبحت مقرا قامة مفضل يأوى اليها في زيارات منتظمة عدد من الاروبيين الامر الذى سياسعد على فتح فنادق كبيرة بها لتتقوى طاقاتها الفندقية فهى الان محطة سياحية مهمة فى طريق التوسع، ولنرجع الى بيان

نظام السير الذى كانت عليه العرائش قبل الاستقلال وبعده.

اما تسيير دواليب المدينة فكان بيد مراقب اسبانى مشرف على جميع الشؤون وخاصة السياسية منها وعلى الشؤون الاجتماعية كان يشاركه فيها باشا المدينة مغربي الى جانب مراقب اسباني مكلف بتسيير البلدية ومن البشاوات المغاربة الذين مروا بالعرائش في عهد الحماية كلها اثنان اولهما السيد فاضل بن يعيش ثم نقل الى مدينة اصيلة ثم خلفه السيد خالد بن احمد الريسونى الذى بقى على رأس باشوية العرائش الى سنة 1956 وهو عهد الاستقلال ثم اصبحت العرائش عمالة لاقليم العرائش كان اول من ولى عاملا بها بعد استقلال البلاد السيد محمد بن على المكناسي احد رجال التحرير واول باشا بها بعد الاستقلال السيد محمد بن عبد الكريم اجزنای العرائشى، ثم نقلت العمالة منها وضمت الى تطوان وبقيت العرائش تحرر على باشا للمدينة فتولى بعد اجزنای السيد محمد بن جلون القصرى ثم السيد عبد الكريم الوزير التطواني.

اما القضاة الشرعيون الذين حكموا بالعرائش ايام الحماية منهم القاضى السيد احمد بن محمد العمراني الغمارى كان بها سنة 1335 وتولى بعده القضاء بها السيد عبد السلام ازطوط العرائشي كان قاضيا بها سنة 1338 هجرية وتولى بعده القاضي السيد محمد بن الحاج الراضي الحراق العرائشى كان قاضيا بها سنة 1354 وتولى بعده القاضي السيد عبد السلام العزيزى الجرفطي وبعده تولى السيد محمد الشاعر الزيلاشى الى سنة 1956.

الحالة الدينية

كان اول ما خطر للماهل العظيم المولى اسماعيل حينما صار زمام العرائش بيده ان كتب الى قائده الذى تولى فتحها يأمره ببناء مسجدين وحمام ودار سكناه، مما يدل على انها كانت خالية من المساجد وعلى فرض وجودها كانت قد اندثرت ابان الاحتلال الاجنبى الذى استمر نيفا وثمانين سنة، فقام القائد المذكور ببناء المسجد المعروف بجامع النوار، وبقيت العرائش بمسجدها الوحيد الى ان حجت وفود القصاد من المجاهدين والمرابطين ومن بينهم السادة الجعفريون آل ناصر من زاوية تمكروت، فأسسوا زاويتهم بباب البحر، ويرجع تاريخها الى بداية العصر الاسماعيلى، فالتف حول مؤسسها زمر من الاتباع والانصار، حتى اصبحت طريقة تحمى الشعائر الدينية، وتقيم حلقات الذكر والارشاد اثر الصلوات الخمس، ثم قامت بعدها زاوية الشيخ القائد السيد الجيلالى بن عبد الله على مقربة منها، واخذت تمارس طقوس طريقتها، وفي عهد المولى محمد بن عبد الله واثناء زيارته للعرائش سنة 1179 هـ كان من جملة ما رآه من ضروريات الاصلاح اقامة مسجد هو الجامع الكبير المعروف الان، وبناء مجموعة من الاحباس المجاورة له، وهى التى تكون الان السوق الداخلى واستمر الحال على ذلك تبعا لوقوف العمران وانطباع البلدة بطابعها المتعارف من كونها حصنا دفاعيا مستمرا على الدوام لمجابهة الطوارئ، الى عهد المولى الحسن الاول، وهناك اخذت المدينة شكلا مغايرا لما عاشت عليه، واستقر الاستيطان فيها، ونمت حركة التجارة بها، فأمتها قوافل التجار من فاس وسوس ومع هذه الوفود وفدت طرق مختلفة كالقادرية والتجانية والكتانية والعيساوية والحمدوشية وغيرها، واقامت كل طائفة لنفسها زاوية لاقامة الصلوات وذكر الاوراد واحياء ذكريات المواسم والاعياد، فكانت هذه الزوايا الى

جانب المؤسسات السابقة مراكز لاحياء الشعائر الدينية.

وكان رجال السلطة من باشوات وقواد وامناء وغيرهم من رجال التجارة يجدون في هذه الطرق استيناسا وتعزيزا لمطامحهم الروحية، فيمدونها بالعون ويشاركونها في اعمالها وتجمعاتها، وبهذه الطريقة افتشرت الروح الدينية بين السكان، واخذت هذه الطرق تشارك بعضها في الولائم والمآتم، وتتعاون في مختلف الميادين الدينية والاجتماعية.

واعتبارا للوضع الذى عاشته المدينة طيلة عهد الاحتلال، كان الملوك العلويون قدس الله ارواحهم يختارون ولاة الامر من عمال وقضاة وامناء من اهل العلم والفضل ومن الاسر العريقة في الدين، فكان هاؤلاء يجلبون معهم من أسرهم وذويهم وحاشيتهم اشخاصا يؤدون خدمات جليلة في الميدان الدينى، ويقومون هم انفسهم بنشر الوعى الديني والتراث الاسلامى واستمرت المراكز الدينية المذكورة تؤدى مهامها، الى ان استقرت دعائم الحماية فى المغرب واصبح القوم يذكرون ما كان منسيا، ويقدمون من اعمالهم الاهم فالاهم، فلم يروا اهم ولا اجدر من اول مسجد بني بعد طردهم من العرائش وهو مسجد النوار، وقد اطلق هذا المسجد اثر انفضاض مؤتمر القمة الاسلامى المنعقد بالرباط على مسجد دولة الكويت تخليدا لذكرى المؤتمر وتعظيما لشخصية رئيس دولة الكويت الامير الصباح، وكان الاسبانيون قد استغلوا حادث انفجار وقع في مستودع لهم كان اثره قويا وحدث بسببه تصدع في بعض المباني، فبادروا الى ايقاف مسجد النوار قبل كل شيىء وغلقه فى وجوه المصلين، وعندما شاهدوا الحسرة والالم قد اخذتا مأخذهما من نفوس المواطنين عمدوا الى هدمه ليحصل اليأس من اعادته الى سابق عهده، وذلك سنة 1347 هـ.

وفي عهد الاستقلال، زار الملك المعظم ابو النهضة مولانا محمد الخامس قدس الله روحه، مدينة العرائش، فكان اول مطلب رجى منه قبوله، هو احياء مسجد النوار، فأصدر امره العالى باعادة بنائه فأعيد سنة 1957، وقد كان سكان الحي الجديد، وهو حى نشأ بعد أن أخذ عمال الفلاحة ورواد المعامل يقصدون المدينة للعمل، فتكاثر عددهم فاضطروا لاقامة مسجد لحيهم،

فاستعانوا بالمحسنين واقاموا هناك مسجدا بالحي الجديد تقام فيه الخميس والجمعة وذلك سنة 1942.

وفي عهد جلالة الحسن الثاني، حظيت المدينة بأعظم مسجد واجمله واكثره متانة واتساعا، هو مسجد الحسن الثاني، الذى جاء موقعه بين عدة احياء تضم اكثر من عشرة آلاف مواطن، كانت تؤم مساجدا للصلاة بعيدة عنها، وقد يصعب الوصول اليها في وقت الشتاء، وبعد ان دشنه جلالة الحسن الثاني، خرج الناس من تلك الضائقة وظفروا بمسجد يقرب من منازلهم، ويسمعون من مئذنته صوت المنادى للصلاة والفلاح، خمس مرات فى اليوم، كما اقيمت فيه الجمعة ايضا، ودشن جلالة الحسن الثاني هذا المسجد بنفسه وصلى فيه صلاة الجمعة سنة 1965 في محفل رسمى محفوفا بحكومته، وقد اطلق اسم هذا المسجد بعد ذلك على دولة التشاد، في شخصية رئيسها تخليدا لذكرى المؤتمر الذى انعقد بالرباط سنة 1969 م. 1389 هجرى.

واذا اردنا ان ندرك مدى تغلغل الروح الدينية في نفوس المواطنين، نجد اعظم دليل على مبلغها هو ان الاحياء التي نشأت من جديد، كلها اقامت لنفسها مساجدا وقد تبنت الاحياس البعض منها كالزاوية المصباحية والبدوية التي تقام فيهما الخميس والجمعة اما حى جنان الباشا وحى المحصحص، اللذين انشأ حديثا فقد انشئت بهما المساجد في عهد الاستقلال، وهما الان مكيفان امر العبادة من حيث المساجد، والماء والانارة.

وبالجملة، فيوجد بالعرائش ثلاثة عشر مركزا دينيا، يذكر فيها اسم الله ويسبح له فيها بالغدو والاصال، وكلها اثناء شهر رمضان تزخر بدروس الوعظ والارشاد، فالحالة الدينية بخير اذا ما صرفت العناية للشباب، وتعمل وزارة الشبيبة والرياضة بمقر تفتيشيتها على بث الروح

الذيلية بين الحين والاخر بالقاء محاضرات دينية وتثقيفية يلقيها اساتذة اجلة زيادة على ان سكان كل حى من احيائها يرغبون في تعمير مساجدهم ويالفون العلماء ويطلبون القاء دروسهم في مساجدهم ليتفقهوا في الدين وليعلموا حق الله عليهم وتكثر هذه الصفات في عنصر المهاجرين من البوادى وكل السكان على اختلاف مشاربهم متشبثون بدينهم ووطنيهم وعروبتهم.

في الميدان الثقافي

انتعشت الثقافة العامة في العرائش بعد الاستقلال اعني سنة 1956 اذ ظهر في شباب هذه المدينة شبان ناشطون طامحون سائرون في حطى ثابتة الى التقدم لنهضة قومية ثقافية مغربية ذكى الله شعورهم وغدى اجسامهم وزاد في معناهم، فبنت الدولة مدارس جديدة موزعة في انحاء المدينة وامتلأت تلك المدارس بطلاب العلم حتى نالوا ما ارادوا فانتفعوا وانفعوا وارشدوا فكان منهم العلماء والادباء والاطباء والمهندسون والاداريون وشاركوا بنصيبهم في تسيير دوالب الدولة وبدات الحالة الفكرية على العموم تسير من احسن الى احسن في جميع النواحي الثقافية، وقد عملت ادارة الشبيبة والرياضة بالعرائش الشيء الكثير اذ بنت للشباب مراكز متعددة واسست انديـة مختلفة نراهـا تدعـو الشباب لاتديتهـا ومواسمها الثقافية كما تستدعي رجال الفكر والعلم في عدة مناسبات المشاركة في الموسم فتتاح للجماهير فرص الاستماع الى احاديث دينية ومحاضرات تاريخية وتعقد ندوات شعرية ومحاورات في مختلف الميادين الادبية، وبين الحين والاخر ترى المندوبية الشبيبة والرياضة تقدم بجولات في اوساط الشباب المثقف حيث تحيي مواسم ثقافية وتدعوا اليها رجال الفكر ليقوموا باعمال يرحب بفعلها الجماهير وابنائهم حتى تكونت في المدينة فرق مسرحية ورياضية كل واحدة منها تعمل في اطارها الخاص كل حسب اختصاصه في تنقيف شباب هذه المدينة المتعطشة الى المعرفة والوثابة الى غد افضل ومن المؤسسات التثقيفية في هذه المدينة (المعهد الاصيل) هذه المؤسسة التي عملت باخلاص وتفاني على تنقيف المواطنين من شباب المدينة وخارجها فمنذ تأسيسها سنة 1936 وهي تغدى المتعطشين الى الثقافة الاصيلة والعلوم الدينية التي تكمن في المحافظة على اللغة العربية وعلوم الشريعة الاسلامية وقد تخرج من هذه المؤسسة منذ

نشوئها افـواج من الطلبه جلهم يشاركون الان في تدريس العلوم الاصيلة والقضاء وغيره ومن المؤسسات الرئيسية المعهـد الثانوى العصرى معهـد (مولاي محمد بن عبد الله) الذى عمل منذ تاسيسه على تزويـد البـلاد بالاطر المختلفة وهو معهد ثانوى كامل باقسامه مجهز بكل ما يحتاج اليه من تجهيز علمى وداخلى مجهز واطر كافية لسير الدراسة فيـه على احسن وجه وفى بناية واسعة اسس هذا المعهد سنة 1954.

ويوجد فى المدينة نادى نسوى يعمل على تثقيف المرأة وعلى الخروج بها من الجهالة والخمول ودار تابعة له يتعلم فيها الفتيات الطرز والزرابي والخياطة وترشد الفتيات الى مختلف الصناعات اللائقة بهن امـا المدارس الابتدائية فعملية بناء المدارس جارية فى مدينـة العرائش بـدون انقطاع حسب الحاجة فزياة على ما هو موجـود من المدارس بنت الوزارة مدرسة (ابن خلدون) وفتحت مدرسة اخرى وهي مدرسـة (ابن حزم) وهي تبنى مدرسة اخرى بحي الناظور لتحتضن اطفال ذلك الحى.

الحـالـة الاجتمـاعيـة

تحتضن المدينة عـدة مؤسسات ومنظمات اجتماعية، وفى مقدمتهـا مؤسسة التعاون الوطني او الملجأ الخيري المؤسسة 1931، وهذا الملجـأ قام فى مختلف عهوده بعدة اعمال انسانية، فبنايته تقع خـارج المدينـة بطريق القصر الكبير وتضـم فى غالب الاوقات ما يناهز السبعين من اللاجئين العجزة والضعاف والارمال والايتام، ويقدم لهم الغداء والكسوة والعلاج، ويدير شؤونها اشخاص لهم دراية ومران بالعمل الخيري، والى جانبه مدرسة ابتدائية اقيمت بعد الاستقلال لتعليم ابناء الميتم، وتشرف على التعليم بها مفتشية التعليم العربي الابتدائي، كما ان بها مجموعة من الاطفال توسمت فيهم ميول الى الفن فعين لهم معلم يلقنهم بعض الالحان والاناشيد، ويقوم المجأ كل سنة بتوزيع البسة على الضعفاء من الرجال والنساء، كما يقوم كل عيد ديني بختان افواج مهمة من اطفال الضعفاء، وكل ذلك تحت اشراف السلطة المحلية وبعض اعيان المدينة واعضاء المجلس البلدى.

كما يوجد مستشفى مدنى كبير اطلق عليه مستشفى للا مريم، يقوم بالعلاج والفحص والايواء بالمجان للضعفاء، وبه قسم للجراحة وقسم لمعالجة الامراض الصدية والرئوية، والى جانبه فرع لمنظمة الهلال الاحمر يشرف على تنسيق الاعمال التي هي من مهامه كاعانة المنكوبين والمرضى بداء السل، وهناك منظمة انقاذ الضرير، ترعى شؤون الضرير وتواسيه فى التوصل لحقوقه وتوزع على الضعفاء منهم ما يتيسر لهم من معونة، وهناك قسم شرطة للاحداث ويوجه قضاياهم طبق الانظمة الموضوعة لهم، من ادب وتعليم للصناعة المهمة كالنجارة وغيرها.

ويوجد بالمدينه سجن مدني كبير يأوى اليه كل من قررت العدالة حرمانه من الحرية، وبه فقيه يرشد المساجين ويلقنهم شعائر

الدين وبعظهم المواعظ التي تحذرهم من مغبة الاجرام، ولا ننسى ما تسديه منظمة قدماء المحاربين ومعطوبى الحرب من خدمات للمنضوين تحت لوائها سيما عندما تتلقى التأييد والتشجيع من لدن صاحب الجلالة المؤيد بالله وتحس بتقديره لها ولرجالها الابطال.

اما قطاع العمل والشغل فترعاه مفتشية الشغل بارشاده واظهار حقوقه وترتيب الاسبقية بالعمل، الامر الذى يكفى رجال الاعمال مشاق الخلاف الدى يقع بينهم وبين العمال لو تفهموا مضمون اعمال هذه التفتيشية وثمرة مجهودها.

كما ان صندوق الضمان الاجتماعى مؤسسة لا يجهل عاقل اهميتها واثرها فى اقتصاد العامل وضمان مستقبله ومستقبل عائلته، فهى تقوم بمهامها فى نطاق مسؤوليتها، واخذ العمال يدركون ثمرتها ويتوافدون عليها من مختلف القطاعات.

التعليم

كان ابرز اثر ظهر للعيان بعد الاستقلال هو انتشار المدارس بين الاحياء، بعد ان كان بالمدينه عدد المدارس لا يتجاوز الثلاثة. فبفضل الحملات المتتالية التي شنتها حكومة صاحب الجلالة المؤيد بالله، على الجهل الذى كان اكبر عامل فى تقهقر المغرب ووصوله الى ما وصل اليه من هوان، والتجاوب المثمر السائد بينه وبين شعبه اصبح عدد لمدارس يتجاوز العشرة، ووصل عدد التلاميذ ما بين ابتدائي وثانوى من مئات معدودات الى ما يزيد اليوم على سبعة آلاف تلميذ بالنسبة لمجموع اطفال المدينة وهو عدد يناهز السبعين في المائة.

وقد جاءت حملة الكتاتيب القرآنية التي دشنها حضرة صاحب الجلالة المنصور بالله، وظهر على مسرحها بدور البطولة فخر الشباب خير ان شاء الله، حضرة صاحب السمو الملكي ولى العهد المحبوب الامير سيدى محمد دام حفظه، وبراعيم البيت العلوى الشريف، مجيء الماء للعطشان والاغاثة للملهفان، فنهض للمشاركة فيها جميع الاطفال، تعلو وجوه آبائهم ابتسامات الرضى، وتغمر افئدتهم امواج من الثقة والاطمئنان على مستقبل ابنائهم وعقيدتهم التي هي النور الوهاج الذى ينير لهم سبيل الرشد والاصلاح فى هذه الحياة، ويحدوهم فى كل معركة من حلبات النضال الديني والدنيوي.

في العهد الدستوري

وفي نطاق الوعد الملكي الكريم، الذي تلقاه الشعب من مليكه وقائده البطل الشهير سيدى محمد الخامس، اسبل الله عليه شئابيب رضوانه، كهدية سنية منه يوم عاد الى الوطن حاملا اليه عهود النور والحرية، وناعيا اليه عهد الرق والعبودية، تفضل العاهل الكريم فوفى بوعده واصدر الظهير الشريف الذى اعلن فيه نظام الحريات العامة، والذى كان الخطوة الاولى والاساسية لاعلان الحياة الدستورية والحد الفاصل بين عهدين متباينين فأخذ الناس يمارسون حقوقهم تحت سلطة القانون، ويستعملون نصيبهم من الحرية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ثم شاء الله ان لبس العهد الجديد بالمغرب المستقل حلة الشباب، فأزدهرت المجامع وسعدت الطوالع ببزوغ النجم الوضاء وصعود مناط السعد والاقبال حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني على عرش اسلافه الغر الكرام، فعم البشر والاستبشار، وتحركت العزائم من جديد لخوض غمار البناء والازدهار، وفي ثقة منقطعة النظير، وموقف من الشجاعة والثقة والايمان بالله والرابطة الوثقى التى تربط الشعب بعرشه منذ ازيد من ثلاثة قرون، قام الملك الشاب البطل واعلن الاستفتاء على الدستور، بعد استشارات دامت مدة غير يسيرة، فكان جواب الشعب مصداقا لثقة ملكه وطابعا ختمت به وثيقة الثقة التي اصبحت اقوى وادوم من الخلود، فلم يبق الا اعلان الدستور ثم اجراء الانتخابات، على سائر المستويات، فكانت المؤسسات الدستورية وكان اول برلمان بالمغرب، وفاء من جلالة الحسن الثانى بوعد والده المقدس، وحملا علا الاعتقاد بأن عهود الاباء توارثتها الابناء، وليس لاعلان حالة الاستثناء في نظر المغربي النزيه،

الا انه اعتماد بليغ للثقة، واجلال عظيم للمسؤولية العظمى وللامانة الكبرى المنوطة برئيس الدولة، زاده الله تسديدا وتمكينا، سيما وقد سبقت اعلان حالة الاستثناء ظروف كان من اخص مضارها انها شوهت وجه الانظمة الدمقراطية، وكادت ان تقلب مفاهيمها خصوصا فى امة كأمتنا، ومن الايات الدالة على ان حالة الاستثناء صدرت عن قلب نابض بحب الوطن وبنيه، ما انبثق خلالها من بناء وتشييد.

المجلس الجماعي بالعرائش

انتخب اول مجلس جماعي بالعرائش سنة 1962 وهي الفترة الاولى في عهد المؤسسات الدستورية في المملكة المغربية بعد استقلال البلاد وضم هذا المجلس مختلف طبقات السكان اذ كان ثمرة الانتخاب في التجربة الاولى وعمل هذا المجلس بنشاط فحقق لصالح المدينة والسكان عدة مشاريع منها ما انجز ومنها ما انجز بعده ثم جاء الفترة الثانية اعني سنة 1963 وانتخب مجلس جماعي ثاني ضم عناصر تكون وجها آخر لوسط العرائش فقد ضم هذا المجلس ما بين العالم والتاجر والصانع والعامل والمثقف ولا يوجد بين اعضاء هذا المجلس من يسلم زمام ارادته الا للمصلحة العامة فلا لون ولا مذهب الا مذهب الصالح العام فكل عضو من اعضائه يجعل نصب عينه المصالح الحيوية ويعمل على رقي سكان المدينة رقيا فكريا وثقافيا، اجتماعيا واقتصاديا، يتعاون مع السلطة المحلية لتحقيق الاغراض والاهداف المذكورة ويسهر على اقرار المشاريع ودراسة الميزانية والمصادقة عليها. يثلج قبله ما يساعد على النهوض بمشاريع البلد الذى يمثله، او على انجاح المنجزات يسعى الى تنفيذها ومجلسنا هذا في حسابه انه الى جانب السلطة كمرشد ومعين يدرس المشاريع ويصادق عليها، والسلطة الى جانبه كمنفذ ناصح امين، والكل في خدمة الامة والدولة معا تحت ظل العرش العلوى وبارشادات قائد البلاد جلالة الحسن الثاني الملك الذى يمد يده لكل من اراد ان يخدم هذه الامة وينخرط فى سلك من تطوع لخدمة البلاد والعباد امد الله في عمره.

وبالرجوع الى اهمية قراراته، وتنويع مناهجها يدرك المتأمل مبلغ محافظته على الاداب العامة، ومرونته فى استيحاء اعماله من صميم الحياة الاجتماعية دون خضوع لتوجيه ما، واستجابة لاشارة عائدة على الجماعة المتساكنة بخير مهما كان مصدرها، ويدرك المتأمل ايضا طريقة تعاونه مع مختلف الوزارات والمصالح التابعة لها، وهذا مما يزيد خطاه سدادا وفعاليته ظهورا وامتدادا.

تأسيس المجلس الجماعي

انتخب هذا المجلس سنة 1963 ـ 1969 ليمثل سكان المدينة على اختلاف طبقاتهم.

ويتكون المجلس الجماعي بالعرائش من خمسة وعشرين عضوا حسب عدد السكان والدوائر، وهذه اسماء اعضائه مع رقم الدائرة الممثلة في المجلس.

رقم الدائرة

24 الرئيس : الاستاذ محمد احمد الشنتوف،
23 النائب الاول : السيد محمد حسن الجباري،
25 النائب الثاني : الاستاذ محمد عبد السلام الهواري،
5 النائب الثالث : السيد عبد الوهاب الطاهر اعمهار،
21 النائب الرابع : الاستاذ الحاج عبد الرحمن الروسي.

الاعضاء

11 ـ السيد ادريس الرحوطي الريفي
18 ـ السيد الخمار بوشتى
14 ـ الاستاذ محمد عبد الكريم اجزناي
12 ـ السيد الحاج عبد السلام الجنوني
4 ـ السيد محمد الشرقي
17 ـ السيد عبد السلام اليمنى

2 - السيد عبد السلام العمراني
6 - السيد بوسلهام الكعبوري
10 - السيد الحسين ابن الفقيه
3 - السيد محمد الحمدوشي
20 - السيد محمد اليماني
1 - السيد عبد الرزاق محمد القادري
8 - السيد الحاج احمد الريفي
9 - السيد ادريس رابح الريفي
15 - السيد بنعيسى الزويهري
16 - السيد احمد المجدوبي
5 - الاستاذ محمد السريفي
7 - السيد احمد علال الحمدوشي
13 - السيد محمد اليمني
19 - السيد بوسلهام الغرباوي.

وليس لهذا المجلس لجان مختصة حيث انه يمثل عددا لا يسمح له بتكوين لجان طبق القوانين المرسومة للمجالس، يعقد المجلس جلساته الدورية في مواعدها المقررة، وللمجلس مكتب اداري يتكون من رئيس وكاتب، ومنذ استلامه المهام وهو يجد ويكدح للعمل المثمر البناء.

اعمال المجلس في مختلف الميادين

في الاجتماع

كان اول ما استرعى نظر المجلس، هو الخطر الذى احدثه نقل الاحجار من منحدر «عين شقة» تحت شرفات الاطلنطيك، فقد حاول المجلس السابق ان يجعل من تلك الحافة مسبحا صيفيا ومقهى، فشرعت اليد العاملة في هذا المشروع بازالة الاحجار النابتة فى ارض تلك الحافة وذلك بواسطة تفجير الديناميت وتفتيت الاحجار ونقلها، وفجأة اطل خطر من اثر تلك العملية كاد ان يزلزل الجهة الموالية لتلك الحافة من طريق وبيوت السكنى، فأشار بعض الخبراء بالكف عن مواصلة هذا العمل لما فيه وما بعده من مضرة او خطر، فاضطر المجلس الجديد للمبادرة الى تدارك هذا الخطر بردم تلك الحفر من جديد، وتدعيم شرفات الاطلنطيك بالبناء والاحجار سنة 1964، حتى امنت تلك الناحية اوزل القلق الذى كان يساور السكان.

الماء العذب

كانت ضائقة الماء العذب آخذة بخناق السكان من جراء قلة الماء، وصعوبة وصوله الى احياء المدينة، فقد بقيت الازمة الى ان اصبحت المدينة لا تنعم بالماء الا نحو 10 ساعات ما بين ليل ونهار، وهذه الحصة توزع حسب اوقات الحاجة، فكان الجمهور يلقى من اثر ذلك عنتا شديدا، فلم يسع المجلس الا ان شمر على ساعد جده وفي جانبه باشا المدينة المحترم السيد الحاج عبد الوهاب بنانى، ذلك الشخص الذى كان له الاثر الفعال والنصيب الاوفر في انجازه وقرر فتح ملف لقضية

الماء، فبدأ في العمل فيه بتاريخ 64/7/20، ومن حسن الحظ ان عثر على بئرين جديدين من الماء يتوفران على كمية تفوق الحاجة، فاستخدم البران واخرجت منهما انابيب جديدة لايصال الماء من مساحة قدرها 4.500 متر، فارتفعت ضائقة الماء عن المواطنين، وانطلقت الالسن بالثناء، ويرجع الفضل فى كل مشروع نفذ الى التوجهات السامية التي يستمدها الجميع من جلالة مولانا الحسن الثاني اطال الله عمره وسدد خطاه، حتى يتحقق على يده كل ما يتمناه لهذه الامة من رقى وازدهار.

الوقاية الصحية

وقد شغل بال المجلس ايضا امر له اهميته من الناحية الصحية، وهو وجود مستنقع كبير بعين اعراب قرب ديار السكنى، يصبح فى ابان المصيف مصدرا للحشرات والبعوض السام الناقل للجراثيم والاوبئة، فتحدث بسبب ذلك امراض لا يكفى معها علاج، فبادر المجلس بمساعدة الانعاش الوطني فأعطاه الاسبقية على كثير من المهام الاخرى نظرا لخطورته، فاستعملت جميع الوسائل لتعمير ذلك المستنقع وجعله مرتفعا عن تجمع المياه فيه، وتم ذلك سنة 1965، فارتفع نوعا ما بسبب ذلك عن المدينة عبء ذلك الجيش الجرار الذى كان يغزوها كل صيف بسمومه واوبئته، ويخلف وراءه عددا من ضحايا الامراض والحميات.

فى المجال العمومي

كان مسبح رأس الرمل لا يغرى الزائرين بزيارته، نظرا لقلة وسائله وضيق امكانياته، وفي سنة 1965 وجه المجلس عنايته به، فجهزه بمقهى عصرى متوفر على وسائل الراحة، ومستودع لحفظ حوائج الناس اومتعتهم، وممتلكاتهم ومراحض نظيفة يجد فيها الزائر امنيته، كما اقيم به محرك للاصطياف، فابتدئ البناء وقرر المجلس ان يبنى كل

سنة دورا للكراء ليتوسع فيها المطافون، كما يتعاهده المجلس بكل الاصلاحات الضرورية، وفي المدة الاخيرة طلب المجلس ضمه الى المدينة بصفة رسمية ليتابع فيه اصلاحه وتعميره. وفي سنة 1972 اصبح مسبح رأس الرمل تابع العرائش وداخل فى النطاق الحظرى فخططت البلدية لنموه مشاريع ستخرج الى حيز الوجود.

المقبرة مسكن الاجداد

ابتدأ المجلس عمله باحثا فاحصا في كل ما يقرب نفعا، ويدفع ضرا، فواجهته مشكلة المقابر. والمقابر كما هو معلوم، مسكن الاجداد ومزار الاهل والاحفاد، يجب الاعتناء بها موضعا وشكلا، وقد لاحظ المجلس ان السكان لا زالوا يقبرون امواتهم بمقابر عتيقة مر على بعضها ما يقرب من قرن من الزمان، وهى من جهة اخرى واقعة حاليا بين احياء آهلة بالسكان الامر الذى اثار انتباه المشرفين على الصحة، الى ما يحدث فيهم من حوادث لا تحمد عقباها. فتجاوبت الرغبات، وقام المجلس بتخصيص مساحة مترامية الاطراف من الارض التى يختص بالانتفاع بها، تبعد عن وسط المدينة بنحو 4 كلم. وهيأها بقبور جاهزة بكل ما تحتاجه من غطاء وغيره، وسورها بسور محيط بها، كما هيأ سيارة خاصة لنقل الاموات الى المقبرة لبعدها، فجاءت العملية استجابة لداعي الصحة العمومية، وتوفير كل ما يبعد الاتعاب عن عامة اهالى المدينة بكفايتهم كثيرا من المشاق في وقت هم احوج ما يكونون فى احوالهم الى عون ومساعدة وفراغ بال. وتلك المقبرة الجديدة هي مقبرة سيدى العربي المصباحي كما مر ذكره.

سوق الجملة

منذ امد بعيد والمدينة مفتقرة لسوق يكون صالحا للبيع بالجملة،

وليكون سوقا اسبوعيا، وقد كان هذا السوق يعمر تلقائيا بأرض هى فى ملك الغير، ويقع ملاحقا للسوق المركزي التابع للبلدية، فتوافر عاملان قويان على عدم صلاحية هذا السوق، الاول كونه في ملك اناس وكونهم محتاجين الى ارضهم، ولا حق لاحد في نزعها منهم، ما دامت غير صالحة، العامل الثالث هو وجوده قريبا من السوق المركزى اليوم وهو كالسوق الواحد، والنظام الاقتصادي والاجتماعى يأبى هذه الظاهرة لما فيها من مزاحمة سوق لاخر ودفعا لكل هذه الاحداث، قام المجلس وبنى سوقا جديدا صالحا للجملة ولان يكون اسبوعيا، وهذا السوق كان يبعد عن وسط المدينة لجهة جنوبها الغربي بنحو 3 كلم والزمت الحافلات بأن تخصص سيارات النقل كل اسبوع لحمل الناس الى السوق وردهم بأثمان مناسبة، اما الان فأصبح محاطا بالبناء وقرب من السكان وهو الان يسير على احسن ما يرام، اما السوق الداخلى القديم فقد احدث فيه مراحض للنساء والرجال نظرا لانتشار القاذورات في الاحياء المجاورة له، ولوجود جماعة لا يستهان بها من الباعة والمتجولين بهذا السوق فوجودها ضرورى. ثم اعيد تعييده على الكيفية التي كان عليها منذ اقدم العصور.

الملعب البلدي

كان الملعب البلدى بالعرائش متلاشى الجدران مهمل المقاعد والابواب ونظرا لاهمية الشؤون الرياضية ومشاهد العرائش في الميدان الرياضى منذ اقدم العصور وتوفرها فى مختلف الازمنة على فرق نشيطة يتردد ذكرها فى الاوساط الرياضية، فلم ير المجلس بدا من العناية بالملعب واقامة ما تلاشى منه وصيانة ابوابه حتى يصبح قابلا للرياضة ولغيرها من المهام المناسبة، وهو الان جاهز بكل ما يحتاج اليه.

فى المجـزرة العمومـيـة

من المعلوم ان اللحوم التي تصدر عن المجزرة العمومية هى اللحوم لرسمية والمأذون في اكلها لكونها تخضع للرقابة الصحية، ومن المعلوم ايضا ان الرقابة الصحية تعثر بين الحين والاخر على ذبائح مريضة وغير صالحة للتناول، فيرفضها الطبيب البيطرى، وزيادة في الاحتياط الصحى، قام المجلس باحداث اصلاحات اخرى فى المجزرة وشراء فرن تحرق فيه تلك اللحوم المنبوذة، خشية ان تعود الى الظهور بعد رفضها.

فى البنـايـات الرسـمـيـة

اكتظت البناية التي تشغلها اليوم الباشوية والبلدية وتزاحمت الاقسام فيها حتى اصبح العمل بها مضنيا، فلم يسع البلدية مع الضيق الحاصل لها الا ان تفكر في زيادة اماكن تصبح اقساما تضاف الى الاقسام الموجودة.

فأحدث بناء اربع صالات كبيرة فوق بعض الاقسام الحالية، خصصت احداها لعقد جلسات المجلس اولاخرى جعلت اقساما خاصة كانت في امس الحاجة الى المكان المتسع، زيادة على الملحقة التي احدثها فى الحى الجديد يسيرها خليفة الباشا وفيها بعض الاقسام الاقسام التابعة للبلدية يفد عليها الاحياء القريبة لها.

تجهيز البلدية

كان من رأى المجلس وبعد نظره ان اشغال البلدية عمل لا ينقطع، وانه ما انجز عمل الا وظهر غيره يدعو الى نفس العمل، وبالتالى فالبلدية في حركة دائبة، ولهذا قرر المجلس ان يجهز البلدية بما تحتاج اليه وبالاولويه قسم الاشغال وتزويد القسم الادارى وغيره بما امكن من الاحتياجات الضرورية، فقد جهزت البلدية بسيارات صغيرة للمتنقل السريع واخرى لنقل الازبال والاحجار وغيرها مما تدعو الضرورة اليه وسلوم عال لاصلاح الاسلاك ونصب الاقواس وجرار لنقل هذا السلوم الحديدى الى الاماكن النائية، وادوات لاصلاح الطرق وحفر الخنادق ونقل الاتربة والاحجار وغير ذلك من معاول وفيسان، بحيث كانت البلدية عالة على غيرها فى كل ما تحتاجه من ادوات، فأصبحت بفضل هذا التجهيز فى غنى عن كل مساعدة.

وفى نطاق الوقاية ايضا

قام المجلس في غير ما توان ولا هوادة واستنجد بالانعاش الوطني في انجاز الاعمال الضرورية، ذلك انه وجد احياء تضم اغلب سكان المدينة كحى جنان الباشا والمحصص وشارع القاهرة وجل احياء المدينة القديمة وجدها تعانى من تفاقم مصارف الماء الحار وتدهورها ما يهدد بأسوأ العواقب، فواجه بجد رغم ضيق الامكانيات، ولم يهنأ له بال حتى كانت مصارف الماء الاسود جارية في سائر انحاء هذه الشوارع، ووقع الاطمئنان على سلامة صحة السكان. اما اصلاح الطرق وتجميل الشوارع، فقد يضيق بنا المجال لو عددنا الشوارع والطرق التي شملها الاصلاح فى عهد هذا المجلس، فهناك ما يزيد على 20 طريقا تم اصلاحها وفتحها.

كما عرفت جميع شوارع المدينة وميادينها انجازات رسم عليها اسماء عظماء الرجال من قادة الفكر والعلم والسياسة فى العالم الاسلامى، ومن المغاربة وغيرهم. كما عولجت كثيرا من الخطوط الكهربائية فى عدة جهات من المدينة، استبدلت بشبكة جديدة مدفونة فى الارض يعمل المجلس على توسيعها في كل احياء المدينة حتى لا يبقى اي سلك ظاهر.

فى الثقافة

ربما يظن الظان ان شؤون الثقافة لها وزارة خاصة، هى الكفيلة بشؤونها ولكن المجالس على ما يظهر من توجيهات صاحب الجلالة دام له النصر والتمكين، لا يسعها ان ترى نقصا فى جانب من الجوانب، لذلك رأى المجلس ان مجموعة من الاحياء تضم اكثر من عشرة الاف مواطن محرومة من وجود مدرسة قريبة لابنائها، فقررت بالتعاون مع المشرفين على عملية المدرسة اقامة مدرسة ابتدائية بين تلك الاحياء، بلغت اقسامها اليوم بالتدريج اربعة عشرة قسما، وتحمل اسم مدرسة البلدية، وتأوى ما يقرب من 1 000 تلميذ، زيادة على ان المجلس لا يتوقف فى اصلاح جميع المؤسسات التعليمية الموجود بالمدينة من ترميم واصلاح وتنظيف وغير ذلك كما ان المجلس لاحظ ان المكتبة االعمومية التابعة للبلدية تقع في مكان مغمور لا تقع عليه عين الزائر الا بعد البحث والسؤال، والشأن فى مناهل التثقيف والتنوير، ان تحتل الاماكن البارزة لكي تكون معرضا لكل راغب، وفى متناول كل طالب، فأنشأ المجلس لاجل ذلك مكتبة جديدة فى مكان بارز، وعلى منظر خلاب وقرب أثر تاريخي عظيم تفتخر به العرائش، هو الحصن الذى بناه المنصور السعدى واخرج هذا المركز التثقيفى من مخدعه الى حيث يرى النور ويشع منه النور، ومن البديهى ان الشموس والاقمار مقرها السماوات العلى والمقامات المرموقة، لهذا اصبحت المكتبة اليوم مقصدا للزائرين ومرشدا للحافزين، تقدم لكل طالب مطلوبه، وتوجد الان حافلة بالكتب المهمة وقد خصص لها المجلس ميزانية سنوية لشراء الكتب التي لم توجد فيها وكذلك شراء الصحف والمجلات فهي الان من افخم المكتبات التى تنتمى الى البلديات تزداد ضخامة كل سنة يقصدها الباحثون من المغرب وخارجه.

في المجال الديني

كان المجلس سريع التلبية لكل داع ديني كيفما كان نوعه، فقد تلقى بالصدر الرحب جميع المطالب التي قدمت له كمساعدة على اقامة المراكز الدينية، فقد مد المعونة بلين وسخاء في ما يرجع لاقامة مسجد الحسن الثاني الذى انفقت مصاريف بنائه وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية، فلم ينقطع في يوم من الايام عن تعهد العمل ومديد المعونة للقائمين على اقامته، كما ساعد على بناء مسجد بحي باشا وآخر بحي المحمص، وهما الان من البيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وكثيرا ما ساهم المجلس في عملية تسخين الماء بالمسجد الاعظم في فصل الشتاء للمتوضئين والمصلين، وقد مر الكلام على ذكرهم في موضوع آخر وعندما دعا صاحب الجلالة الحسن الثاني الى انشاء كتاتيب قرآنية في ربوع المغرب اظهر المجلس البلدى استجاباته ومدى تأثيره بالدعوة الملكية الكريمة فقام باستعدادات ومعه المسؤولون في البلدية لكل ما من شانه ان يرفع من شأن الدين وتثبت دعائمه وبنا تعاليمه في نفوس النشأ المغربى الكريم فبنى عدة كتاتيب في المدينة واصلحت اخرى حتى كان كل حي من احياء المدينة يحرز على مكتب قرآني ضم اليه كل الاطفال الذين يهيؤون لولوج المدرسة وعمل المجلس ومعه المسؤولون على جلب العلماء والمحاضرين للالقاء الدروس والمحاضرات في جمهور غفير من المومنين في مختلف مساجد المدينة وفي مختلف الاوقات فالتقى سكان مدينة العرائش مع عدد كبير من العلماء مغاربة وغيرهم فانتفعت العرائش بكثير من علماء دار الحديث الحسنية سواء منهم الشباب والشيوخ الذين اوفدتهم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الى هذه المدينة لالقاء الدروس بها.

وهذا عمل ناطق بما تنطوى عليه جوانح القائمين به من صدق

الحب والوفاء للعمل الوطني، ومبرز لمبلغ التأثر البالغ بالتوجهات السامية لسيد البلاد، ابقاه الله ذخرا وسندا لهذه الامة ومن العلماء المغاربة الذين تواردوا على مدينة العرائش لالقاء الدروس والمحاضرات على سكانها المتعطشين الى العلم والمعرفة الاستاذ الفقيه الضريرى خريج دار الحديث الحسنية السيد حماد الصقلي الحسيني الفاسي قدم الى هذه المدينة كعادته جزاه الله خيرا لالقاء درس بالمسجد الاعظم يوم 27 رجب 1393 موافق 4 غشت 1973 وكان موضوع الدرس حديث المعراج الذى ابدع واجاد فيه استهل درسه القيم بالابيات التالية اذ قال :

اهل العرائش يا من حزتم شرفا ... بالجد فى السعي والاخلاص في العمل
منارة العلم والعرفان قد رسخت ... بعزمكم فلانتم غاية الامل
اسبوعكم عزز الامال فافتخروا ... وواصلو سعيكم فى غير ما كلل
وكم اكون سعيد ان اشارككم ... ملبيا رغبة قد عززت عملي
وكلنا لنداء البعث ممتثل ... ابقى الاله مليكي فى علاه علي

وكان من المناسبات ما اشار اليه الاستاذ الشاعر فى ابياته فكان اليوم يوم المعراج والشهر شهر رجب الفرد والسنة سنة البعث الاسلامي كما سماها جلالة الحسن الثاني والعرائش محتفلة باسبوعها السنوى الذى تقيمه كل سنة كما ان المدينة اعتادت ان تلتقي مع علماء اجلة توفدهم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الى العرائش لالقاء دروس ومحاضرات قيمة فى كل مناسبة اذ كثيرا ما تردد الاستاذ المرشد احمد عبد الرحيم عبد البر المصرى والاستاذ الصقلى المتقدم الذكر وغيرهما من العلماء المغاربة ويحظى النشاط الدينى الان باهتمام كبير من لدى سكان العرائش وخصوصا من جانب من قدر له سكنى هذه المدينة من القبائل المجاورة وخاصة المسنين منهم فعلى الرغم من ثقافتهم المتواضعة في امور الدين فهم يحرسون على الشعائر الدينية في اوقاتها ويعمرون المساجد في كل احياء المدينة.

المشاريع والاصلاحات المنتظرة

تضم مذكرة المجلس فى ثناياها عدة اصلاحات ضرورية مقترحة منها استبدال شبكة الاسلاك الناقلة لتيار الكهربائي في سائر شوارع المدينة، حيث مر عليها ما يقرب من خمسين سنة واصبح وجودها خطرا يهدد امن المارة خصوصا فى اوان الشتاء وهبوب الرياح، ويقلق راحة السكان بكثرة انقطاع التيار بصورة فجائية، وقد اعطيت الاسبقية لعدة شوارع كطريق القصر الكبير وطريق طنجة وشارع الحسن الثاني، التي انجز العمل فيها، ومنها توسيع النطاق البلدى بادخال رأس الرمل من جهة، وبعض المناطق من جهة اخرى، حتى لا تبقى المدينة في الحصار الاقتصادى والاجتماعي وحتى تغير ما كان يراد بها فى عهد الحجر والحماية، ومنها بناء مجموعة رياضية بمساعدة العمالة والشبيبة والرياضة والمجلس الجماعى، ومنها فتح الطريق الشاطئية الممتدة من المرسى الى حصن القبيبات الى شارع محمد الخامس، وسوف يقع الشروع فى بنائها، ومنها تسليم البناية التي تشغلها البلدية حاليا، لتصبح ملكا للبلدية لكى يتسنى لها ان تتصرف فيها بعض التصرفات التى تراها ضرورية وملائمة، ومنها تصميم قنوات المياه الحارة فى جميع الشوارع والاحياء لتلاشى القنوات الحالية واحتناقها بالارمال والاحجار، واضرارها بجدران الدور والمباني، وقد تعهدت شركة فلورياط بدراسة المشروع، وقد تقدم المجلس الى الدوائر المسؤولة بعدة طلبات فى هذا الشأن.

على ان بعض المصالح الاخرى قد استجابت لبعض الرغبات فحققتها، وذلك كالملتمس الذى تقدم به المجلس البلدى يتضمن فتح مكتب للتسجيل والتنبر، فقد فتح واحد فى مزاولة اعماله منذ شهر اكتوبر 1968، فخفت عن المواطنين كثيرا من الاتعاب، الامر الذى اكد بأن الاقتراح اصاب الصواب وكذلك ما قام به المشرفون على مشروع التنمية من اقامة سوق

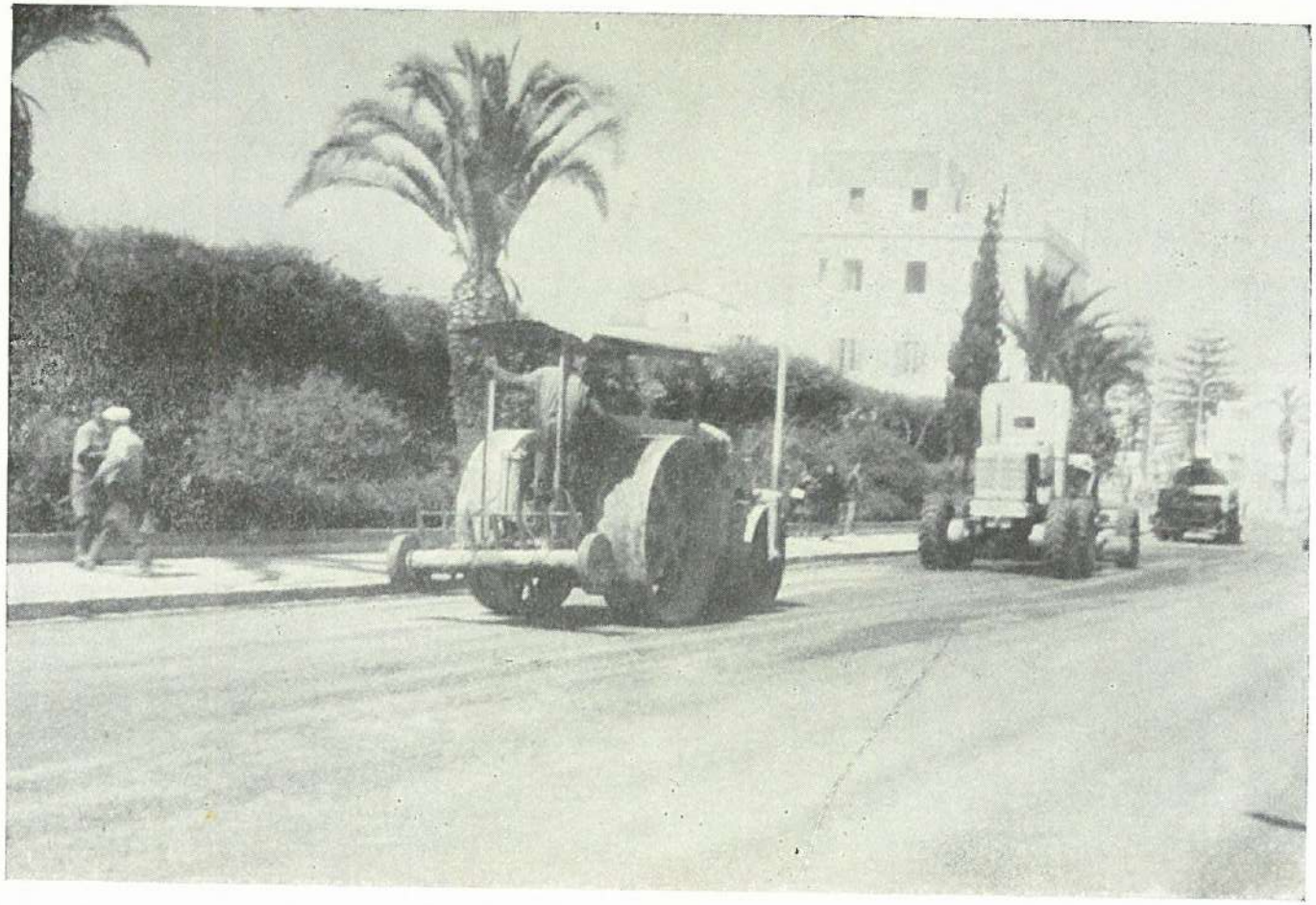

جديد للثياب، اصبح من اهم الاسواق واجملها موقعا بالعرائش، ومن المنافع التي هلل لها المجلس لفائدتها ونفعها بالنسبة للجماهير، فتح مركز للتكوين المهنى، نرجوا أن توسع دائرته حتى يخفف من آثار انخفاض مستوى التعليم، وكذلك بناء سجن مدنى كبير بمدينة العرائش، بدلا من السجن القديم المتلاشي وربما كان له اثر ما فى اقتصاديات البلد ونشاطها الاجتماعى.

شكر وتقدير

يعيش المغرب على العموم عصرا عمل لاجل وصوله فترات مختلفة الشدة والقسوة، وقد حقق الله آماله بعد ان صبر واحتسب، فأصبح يمارس حقه في نطاق من الحرية وعليه كما على كل انسان امتن الله عليه بأن اخرجه من الحرج الى ساحة الفرج، ان يوالي شكر الله تعالى بتذوق لذائذ آلائه، وان يعترف للحقيقة والتاريخ بصنوف الامكانيات التي اتيحت له، وانواع الطرق التي فتحت في وجهه للتوصل الى ارضاء رغبته وبلوغ امنيته، وقد كان من اعز ما يأمله العالم والمثقف ان يضع بين يدي بني قومه الوانا من الامجاد وضروب العظمة التي خلدها اسلافهم، وحفظتها صفحات التاريخ لتكون منبع استمداد للقدرة على بناء الحاضر وصنع المستقبل، وقد كانت هذه النعمة من اخص ما يحسد عليها المثقف المغربي ويصرف عنها نظره بشتى الوسائل باعتبار انها مصدر لا يعاد له غيره من المصادر الباعثة في نفوس الاحرار معاني القوة وروح الامل والطموح، فقد كان من المحظور على المثقف - والتاريخ يشهد - ان يكتب او يحاضر او يؤلف في تاريخ المغرب، او ينوه بموقف من مواقف عظماء المغرب وقادته وكان العمل من هذا القبيل معدودا من اثارة الفتن والتشويش، حتى ادى الحال الى انطماس معالم تاريخ المغرب واخبار المراجع الحافظه لذكريات ابطاله.

وها هو عهد المغرب الجديد، وعهد الملك الشاب يضع امام كل طالب وراغب فرصا متنوعة لاشباع نهمه، وتحقيق آماله، في البحث والتنقيب عن كل ما يثبت علاقة بلاده ورسوخ قدمها في ميدان البناء والتشييد، وها هي الطائفة المستنيرة من رجال السلطة والمنتخبين يدركون قيمة الفرص المتاحة لهم، ويهتبلون حرارة الشغف الذي يغمر قلب رئيس دولتهم العصامي الطموح وهيامه بكل ما يضفي على حياة

المغرب قديما وحديثا الوان العظمة وانور الهيبة والتفوق في ميادين الحيات.

نعم، ها هم يدركون ذلك فيسارعون الى احياء كل ما يتصل بالبلد الذى اشرفوا على شؤونه من ذكريات تبعث على الفخر والاعتزاز وتكشف في نفس الوقت عن حظ ولو ضئيل عن استماتة ابطال الدولة العلوية الشريفة في سبيل مجد المغرب وعظمته ووحدته، وتؤكد من جديد ان التحام العرش بشعبه خلق وغريزة ازلية لا سعادة للمغرب حاضرا او مستقبلا بدونه، وان قوة المغرب انما تكمن وراء التحام العرش بالشعب، وان ما ينعم به المغرب اليوم من مكانة مرموقه في مختلف الاوساط الدوليه وما تميز به من ازدهار في ميدان البناء والتشييد لاعظم برهان على هذه الحقيقة واقوى حافز على الاستمرار في سبيل الثقة المتبادلة والعمل على تدعيمها وتقوية اسبابها بين الشعب وملكه جلالة الحسن الثاني.

هذا وان منجزات عهد الحسن الثاني خلال السنوات الماضية لم تقف عند هذا الحد بل شملت ميادين اوسع حيث تم تحقيق مشاريع جديدة في مجالات التربية الوطنية والشبيبة والرياضة وفي ميدان التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في ظل الاشتراكية الحسنية التي ترمي الى تحقيق سعادة هذه الامة ورفاهيتها في حاضرها ومستقبلها والتي تضمن للاجيال المقبلة الامن والرخاء والتطور.

هذه مجموعة عناوين لجملة من النشاطات التي بوشرت او تباشر بهذه المدينة بهدى من الله والهام من ارشادات سيدنا ادام الله عزه وسؤدده، وان شملت جوانب واسعة من نشاطات مدينة العرائش فان ارادتنا سلطة وسكانا اشمل، وعزمنا على المضى قدما الى الامام لا توازيه الا تقتنا جميعا في مستقبل هذه المدينة، ويكفينا فخرا وشرفا واعتزازا ان نكون في ركاب جلالة الحسن الثاني نصره الله وخداما من خدامه الاوفياء حفظ الله مولانا الامام وسدد خطاه واقر عينيه بولى عهدة الامير الجليل سيدى محمد وسموه مولاي رشيد وباقي افراض الاسرة الملكية

الشريفة انه ولى التوفيق لهذا وذاك لا نترك الفرصة تمر دون ان نسجل شكرنا وكبير امتناننا فى هذه الطبعة لجميع اعضاء المجلس الجماعي وباشا المدينة الحالى السيد محمد علي بنيس وخليفتى الباشا السيد الحسن الريسوني والسيد محمد الجنان، على ما ابدوه طيلة عملهم من مرونة ولباقة وما اتسمت به اعمالهم من تجاوب وانسجام فتجدد لهم شكرنا وتقديرنا على المساعدات التي بذلوها لابراز هذه اللمحة التاريخية عن ثغر العرائش راجيين منه سبحانه ان يهدينا الى اقوم السبيل وان يلهمنا رشدنا.

هذا ما تيسر لنا جمعه معترفين اننا ما استوفينا كل ما قيل في حق الثغر ولكن لا يترك الميسور بالمعسور والحمد لله اولا واخيرا وجمع في فاتح رجب الفرد عام تسع وثمانين وثلثمائة والف هجرية موافق 13 - 9 - 1969.

Larache

انشودة للعرائش

قيلت هذه القصيدة في اسبوع العرائش، انشدها الشاعر. الاستاذ حسن الطريبق في 1968/7/2 :

دنيا من السحر قد شعت روابيها ... كأنها الشمس في أبهى لاليها
قد ضوع العطر وانسابت مواكبه ... منها وباحت بنجواها مغانيها
نسائم الفجر جدلى فى مراتعها ... والورد يشهق في أعلى مراقيها
كأنها جنة فيحاء يغمرنا ... أريجها فنضاهى تيهها تيها
من فيضها ننتشي دوما كان لها ... في الروح ما أبدا يحيي أمانيها
فيها استحم ضياء الفجر منتشيا ... فيها الازاهر لا تحصى أقاحيها
فيها المحاسن تسبي الروح رقتها ... فيها الروائع والدنيا وما فيها
«لكسوس» يا رجعة الذكرى ويا ... نغمة الشادى ويا بقعة يختال ماضيها
لقياك دنيا تثير النفس روعتها ... بأى حرف أغنيها واحكيها ؟
بأى حرف الى لقياك ارسلها ... انشودة من صميم الروح أرويها ؟
تماوج السحر في اعشاب ربوتها ... وجلل الظل ازهار واديها
بك (العرائش) كم تختال زاهية ... في حسنها الفض في الحان شاديها
في نهرها العذب فى ألحان شاطئها ... فى شجعة الاطيار في الحلى سواقيها
فيها ارى احرفا جالت بخاطرى ... كأنها الشعر تقطيعا وتشبيها
في يقظة الروح في دنيا الخيال بأ ... يما قصيد اغني في لياليها
في عالم الذكريات البيض اذكرها ... فأبصر الطمر في ادني نواحيها
لله فيها حياة لا يحجبها ... طول الزمان ولا عني بواريها
(لكسوسها) الثر القاه فأحسبه ... هوى تزيد به ارواحنا تيها
(لكسوسها) الثر يجرى فى مراقعها ... فتخصب الارض في اقصى اقاصيها

وهذه القصيدة قيلت بمناسبة عيد العرش المجيد لسنة 1968، أنشدها

الاديب السيد المهدى الطود :

أبذلتم لغو الحديث مفيدا ... وبعثتم نظرا أسد حديدا
وصرفتم العزمات عن ترادها ... علمتموها البث والتسديد
كان التشيع والتشوق سائدا ... فينا فعدنا نكره التوريد
عذنا بحكم الوقعية أمة ... من كل صقع تستمد مزيدا
غنيت بكم عن كل طيف خالب ... يغوي ويستهوى العقول مريدا
أوسعتموها حكمة وتيقظا ... في ذكريات تكسب التجديد
فغدت لها ذكرى الجلوس عزيزة ... اذ تستفيد بجوها تمجيدا
عادت تثنيه فخورة بولائها ... «لحلاحل» بذا لكماة الصيد
مدت يداه كريمتين طليقتين ... وقد وفت أوعارنا والبيدا
وتباهت الانحاء تعرض كسبها ... كل يقدم ما يصح شهيدا
والكل ممنون يبارك سعيه ... ويعد طالعه عليه سعيدا
خرست لعمر الله السن معشر ... ذهبت بهم صور الخيال بعيدا
وتقاذفت أحلامهم بجهودهم ... ظلوا ضليلا في الفلاة شريدا
لولا وليد المصلحين وشبلهم ... عرف الدوا فهفا اليد وئيدا
لولا الملاذ ومن له الرجعى ... كانوا اذا حم القضاء رصيدا
كانوا لذى الازمات أو ثق معقل ... يحمى وركنا ما يزال شديدا
سائل بربك خصمنا وصديقنا ... ينبئك هبه مكابر أو عنيدا
ستظل «عشرى غشت» أصدق آية ... تحيي القديم وتستثير جديدا
تحيي شهامة آل بيت محمد ... وصمودهم للنائبات حديدا
منذ ارتضى هجر العشيرة جدهم ... وطوى المفاوز خفية ووحيدا
تخذوا الفداء شعيرة وشريعة ... ليثبتوا الاسلام والتوحيد
ويلقنوا درس الفداء لفتية ... حسبوا الفداء تنطعا ووعيدا
فهم الائمة في الشدائد والرخى ... والهدى منهم لا يزال رشيدا
وبدونهم سيظل مسعى قومنا ... في عين أهل الموبقات زهيدا
خازوا البراعة يوم احرز جدهم ... أمر الزمام فصار فيه حميدا
من ثم كانوا سادة الدنيا بهم ... كان السلام مدى الزمان وطيدا

أوما ترى حلو الاماني تنحني ... طوعا فتلقى العون والتأييدا
أكرم بجوهرة الملوك فانها ... لمعت فتحت للمغارب جيدا
لمعانها خلب الخواطر عنوة ... وقوامها فضح الحسان الغيدا
كلف الهزار بحسنها فتنوعت ... نغماته واستمرأ التغريد
فتفنن القمرى يحكي شجوه ... لكن تعذر ان يكون سديدا
فالدر قيمته تكون أصيلة ... سيان كان مفككا ونضيدا
وبنو البتول تأصلت أحسابهم ... أزلا فكان سموهم تأبيدا
سر تعهدت الملائك أمره ... من شذ عن مأتاه كان طريدا
ان كان مبعثه الشروق فغرسه ... وثماره قد مددت تمديدا
نبتت براعم دوحه في حينا ... فزكت وطابت منبتا وصعيدا
وبعرش عترته نأمن سربه ... وكفى المشارق كلها التهديدا
بدهاء أسرة عرشه ومرانها ... وبجعلها حكم الكتاب عميدا
عاشت مهابة جانب من جارها ... وتعيش عيشا آمنا ورغيدا
جائت تصاميم البناء مهيبة ... بالاصدقاء فأسرعوا تمهيدا
وبدت نوايا الخير تغرى كل من ... يبغى السلام ويصطفيه أكيدا
لم لا تسح الغاديات سخية ... والله قيض للبلاد مجيدا
أصفى عليه من المحاسن حلة ... تستوجب الشكران والتحميدا
عمت فضائله الجميع فما ترى ... في الناس الا مثنيا ومشيدا
وبذت طلائع حدقه فتوافدت ... زمر علينا تكثر الترديد
هاذى العرائش غرسكم ونتاجكم ... ترجو من العطف السمى مزيدا
ان تنسى لا مهجى فتحها ... فخر الملوك الضيغم الصنديدا
تحنى الحياة تجلة لوليها ... ولمن تناسل دنية وحفيدا
في كل ما حي وفي كل بقعة ... أثر يخلد مجدكم تخليدا

كلمة ختامية

على اثر توزيع الطبعة الاولى لكتاب «العرائش كما يراها المجلس» على نخبة من الاساتذة والمثقفين فى صيف سنة 1390 - 1970 حتى تقاطرت على مكتب المجلس البلدى مراسلات من طرف علماء اجلة مسؤولين واساتذة كرام ذوى نية طيبة وطوية حسنة، وكانت الغاية المتوخاة من اختيار تلك النخبة التي اهدى اليها الكتاب هي ان تتناوله بالبحث والنقد وتبدى رأيها نحو اسلوبه ومنهجه وبناء على ما عبرت عنه هذه النخبة الصادقة فى نيتها من تشجيع وتقدير لهذا العمل المتواضع قام المجلس البلدى باعاده طبع الكتاب من جديد مع ادخال ما ابدته هذه النخبة من ملاحظات فى هذه الطبعة، وامتدادا للعمل الاول بادرنا الى جمع بعض المراسلات خشية ان تتعرض للضياع ويعتبرها من لا يعتز بتراثه ولا يقيم وزنا للتاريخ المغربى انها من سقط المتاع، فلاجل هذه الغاية ضمت الرسائل الواردة والتعاليق القيمة الى الكتاب فى الطبعة الثانية فالى كل اولئك الذين راسلوا او كتبوا عن تاريخ مدينتنا فى مجلة او صحيفة او حلقة اذاعية شكرنا العميق وامتناننا الصادق راجيين ان تكون هذه الكلمة الاخيرة بمثابة رد على رسائلهم الكريمة.

الرسالة الاولى

للاستاذ المؤرخ السيد عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة المغربية ومحافظ ضريح محمد الخامس قدس الله روحه كتبها نيابة عن المدير العام للديوان الملكى.

جناب السيد رئيس بلدية العرائش

العرائش

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد توصلت بالكتاب الذى اصدره المجلس البلدى عن العرائش، وسرنى ما بذلتم من الجهد فى اخراجه فى حلة قشيبة وما ضمنتموه من المعلومات عن ذلك المرسى البهيج، وانني واذا اشكركم على هديتكم لاهنئكم بهذا العمل الذى يضيف صفحة مشرقة الى تاريخ مدننا العزيزة.

راجيا لكم كل خير وهناء، ولمدينة العرائش مزيد التقدم والازدهار والسلام مع مودتي وتقديرى.

الرسالة الثانية

الاستاذ الفاضل المحترم السيد محمد العابد الفاسي الفهرى محافظ مكتبة القرويين. فاس

سعادة الاستاذ المحترم رئيس المجلس البلدى بالعرائش دامت مسراتكم واتصلت سلامتكم وسلام عليكم ورحمة الله بوجود سيدنا ايده الله

وبعد : فقد تشرفت مكتبة القرويين بالنسخ الاربع من كتاب (العرائش كما يراها المجلس الجماعي) قصد وضعه برفوف مكتبة القرويين، والمكتبة ومديرها الكل يشكر لكم هذه اليد البيضاء ولا شك ان هذا العمل مفيد جدا من ناحية التاريخ المغربي بصفة عامة ومن دون شك ولا ريب ان مدينة العرائش تستحق كل هذا الاهتمام واكثر منه والفضل في جميع ذلك يرجع الى سعادتكم الذى يشارك فى نشر هذه الاضواء الكاشفة من حين لحين على ربوع المغرب الزاهرة وتقبلوا اخلص تحياتى والسلام.

الرسالة الثالثة

للاستاذ المحترم السيد عبد الله الرجراجي محافظ الخزانة العامة للكتب والمستندات. الرباط

حضرة السيد رئيس المجلس البلدي لمدينة العرائش تحية وسلاما وبعد : فيسعدنا ان نخبركم باننا توصلنا باسم الا يداع القانوني باربع نسخ من كتاب (العرائش كما يراها المجلس الجماعي) وفي نطاق الاجراءات الادارية الخاصة بهذا القبيل نبعث اليكم رفقته بنسختين من تصريح خاص بالايداع القانوني نرجو منكم ارجاع احدى النسختين الى المكتبة العامه في اقرب وقت ممكن بعد ملئها مع فائق التشكرات وخالص الاعتبار والسلام.

الرسالة الرابعة

للاستاذ الفاضل السيد ادريس بن زاكور رئيس البلدي لمدينة فاس.

سلام تام بوجود مولانا الامام وبعد :

لقد تفضلتم علينا بنسخة من كتاب (العرائش كما يراها المجلس الجماعي) واننا اذ نتقدم اليكم بتشكراتنا الحارة على هذه الالتفاتة الكريمة نرجوكم ان تبعثوا لنا نسخة ثانية من الكتاب المذكور نظر للاهمية البالغة التى يكتسبها هذا المؤلف.

وتقبلوا سيادة الرئيس عبارات الاحترام والتقدم والسلام.

الرسالة الخامسة

للاستاذ العلامة الحاج المختار بن احمد الخمال القاضي بمحكمة السدد بالعرائش.

الى السيد محمد الشنتوف رئيس المجلس البلدي بالعرائش

سلام تام بوجود مولانا الامام.

وبعد لقد توصلت بارساليتكم مصحوبة بتاليفكم (العرائش كما يراها المجلس الجماعي) واننى اذ شكركم واحيى فيكم الروح العلمية وكتابكم هذا وان دل على شيئ فانما يدل على تنفيذ رغبة صاحب الجلالة الملك المعظم ادام الله عزه الذى يحث على العلماء ان يساهموا في مرافق الدولة ومن اهم المرافق المجالس الجماعية التي تنير السبيل للمواطنين وأشكر لكم ما اسداه المجلس الجماعي من ايادى بيضاء الى هذه المدينة وفقنا الله جميعا لما فيه رضاه ولما فيه صلاح هذه الامة والسلام.

الرسالة السادسة

للاستاذ الكبير السيد الحاج احمد معنينو، مدير مدرسة الاميرة عائشة بسلا.

الى السيد رئيس المجلس البلدى لمدينة العرائش تحية طيبة بوجود مولانا الامام وبعد تلقيت بمزيد الشكر والامتنان هديتكم الكريمة كتاب (العرائش كما يراها المجلس الجماعي) والحقيقه انه عمل مشكور وجهد جميل وتذكير مفيد، فلقد عرفتم بالمدينة قديما وحديثا ولخصتم تاريخها المجيد وحاضرها الناهض في عهد جلالة الحسن الثاني الملك العظيم دام له النصر والتاييد اعانكم الله ووفق الكل لخدمة المصالح العليا للبلاد وعلى مودتكم والسلام.

الرسالة السابعة

للاستاذ العلامة السيد احمد بن على السوسي استاذ بالمعهد الاصيل بالقصر الكبير.

حضرة السيد رئيس المجلس البلدى لمدينة العرائش.

تحية وسلاما وبعد :

تشرفنا بالكتاب الذى اتحفتمونا به وهو (العرائش كما يراها

المجلس الجماعى) ولانكتم انه طالما كنا نشتاق لظهور مثل هذا الكتاب فلقد ظهر في الوقت المناسب، وبرز في حلة قشيبة عزيزا لمادة رغما عن صغر حجمه مستجمعا لشتات الاحداث متمشيا في سردها مع العلمية والموضوعية. حسن الترتيب والتنسيق، ولقد اثار علينا الذكريات عند ما قرأنا طائفة من علماء البلدة وادبائها الذين طواهم الزمن الى عالم الخلود كالاديب سيدى الحاج عبد السلام ازطوط وسيدى محمد بن الحاج الرضى الحراق واضرابهما ولكن حزفى نفسى نسيان شخصية سبقت هذين بل هى شيخهما وقدوتهما الا وهو سيدى عبد السلام بن زروق، فهذه الشخصية كان يحق ان يبدأ بذكرها هذا واعلن انه لو تمشت المجالس البلدية بالمغرب جميعها على ابراز كتاب حول كل مدينة او ناحية لتكونت النواه التى سيكتب منها تاريخ المغرب العظيم الذي ينتظره الزمن وفقكم الله واعانكم والسلام.

الرسالة الثامنة

للاستاذ العلامة المقتدر السيد مزوار الصمدى استاذ بالمعهد الاصيل بالعرائش.

الى السيد محمد الشنتوف رئيس المجلس البلدى بالعرائش سلاما فائقا واحتراما لائقا بوجود مولانا الامام دام عزه وعلاه وبعد اشكر سيادتكم على هديتكم الثمينة تلك الهدية التي جاءت نتيجة الجانكم الهادفة واطلاعكم الواسع الذى جاء به مؤلف (العرائش كما يراها المجلس الجماعى) وزاد من اهمية مدينة العرائش لقد ابرزتم بمؤلفكم القيم السبيل امام الباحث والدارس المتعطش الى معرفة تاريخ هذا الثغر الجميل.

ان عملكم هذا وجهودكم الجبارة التي بذلتموها وتبذلونها لرفعة هذه المدينة وتقدمها ليعد حسنة من حسنات عهد الملك الصالح جلالة الحسن الثاني ايده الله وهو تاريخ حافل لهذه المدينة الجميلة وتفضلوا بقبول متمنياتى الصادقة وعواطفى النبيلة ودمتم ودامت لكم السعادة والهناء والسلام.

الرسالة التاسعة

للاستاذ الجليل السيد عبد السلام العروسى مدير ثانوية مولاي محمد بن عبد الله بالعرائش.

جناب السيد رئيس المجلس البلدى لمدينة العرائش، سلام تام بوجود مولانا الامام وبعد: لقد انلج صدرى عملكم المنتج ومجهودكم النافع الذى يتجلى على صفحات الكتاب الذى انسابت على اعداد مواضعه قريحة فكركم، وخططه مداد قلمكم وسهر جفنكم على انجازه الى ان بزغ للوجود في حلة قشيبة، وبعنوان لائق بتسميته (العرائش كما يراها المجلس الجماعي) انه كتاب مفيد وبادره طيبة ودراسة قيمة تتلخص قيمتها في العجالة التاريخية التى استعرضها الكتاب لحياة هذه المدينة والاحقاب الزمنية التى مرت عليها والحضارة والعمران اللتان سادتها وزخرت بهما مدة من الزمن هذه الارض الطيبة واتمنى لكم التوفيق فيما انتم بصدد تحقيقه لصالح ابناء هذه المدينة والسلام

فهرس صفحة

(1) المقدمة 7
(2) موقع العرائش 9
(3) احواز العرائش 11
(4) شعار المدينة 15
(5) العرائش في اللغة والتاريخ 17
(6) نبذة من حياة هذه المدينة 20
(7) وقائع العرائش عبر التاريخ 24
(8) غارة البرتغاليين على العرائش 26
(9) احداث القرن العاشر الهجرى 31
(10) معركة وادى المخازن والسبب فيها 33
(11) العرائش في عهد بطل الدولة السعدية 36
(12) تسليم العرائش للاسبانيين 39
(13) معارك ابى عبد الله العياشي 42
(14) العرائش على عهد الدولة العلوية 44
(15) فتح العرائش وما بعده 46
(16) العرائش بعد وفاة المولى اسماعيل 61
(17) العرائش في عهد المولى محمد بن عبد الله 63
(18) دخول المولى سليمان الى العرائش 73
(19) الهجوم النمساوى على العرائش 76
(20) العرائش في عهد الحسن الاول 79
(21) العرائش في معركة مصير المغرب 84
(22) العرائش في عهد المولى عبد العزيز 88
(23) العرائش فى قلب المعركة 92
(24) العرائش بعد الحماية 95
(25) عهد الخليفة مولاى المهدى 97
(26) الحالة الاقتصادية 99
(27) بعد حرب القبائل 102

تابع الفهـرس صفـحـة

(28) دور التخدير والمخاتلة 103
(29) العرائش بعد الاستقلال 105
(30) الحالة الدينية 107
(31) في الميدان الثقافي 111
(32) الحالة الاجتماعية 113
(33) التعليم 115
(34) في العهد الدستوري 116
(35) المجلس الجماعي بالعرائش 118
(36) تأسيس المجلس الجماعي 120
(37) اعمال المجلس فى مختلف الميادين فى الاجتماع 122
(38) الماء العذب 122
(39) الوقاية الصحية 123
(40) في المجال العمومي 123
(41) المقبرة مسكن الاجداد 124
(42) سوق الجملة 124
(43) الملعب البلدي 125
(44) في المجزرة العمومية 126
(45) في البنايات الرسمية 126
(46) تجهيز البلدية 127
(47) وفي نطاق الوقاية ايضا 127
(48) فى الثقافة 129
(49) فى المجال الديني 130
(50) المشارع والاصلاحات المنتظرة 132
(51) شكر وتقدير 134
(52) انشودة للعرائش 137
(53) كلمة ختامية 140
(54) الفهرس .....

مطبعة كريماديس - العرائش